إنشاءُ المُكاتَبات

أحمد الهاشمي



كتاب الدوحة

إِنشَاءُ المُكَاتَبَاتِ العَصْرِيَّة

يُوزَّع مجّانًا مع العدد (130) من مجلّة «الدوحة» - أغسطس - 2018

عنوان الكتاب: إنشَاءُ المُكَاتَبَاتِ العَصْرِيَّة
المؤلف: أحمد الهاشمي

الناشر: وزارة الثّقافة والرياضة - دولة قطر
رقم الإيداع بدار الكتب القطرية:
الترقيم الدولي (ردمك):

العمل الفَنّي للغلاف: Mary Cassatt
الإخراج والتصميم: القسم الفَنّي - مجلّة الدوحة

هذا الكتاب: يُعبِّر عن آراء مؤلِّفه، ولايُعبِّر -بالضرورة- عن رأي وزارة الثّقافة والرياضة أو مجلّة الدوحة

أحمد الهاشمي

إِنشَاءُ المُكَاتَبَاتِ العَصْرِيَّة

كتاب الدوحة



أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي

(1295 - 1362 هـ / 1878 - 1943 م)

هـذا الكتـاب «إنشـاء المُكاتبـات العصريـة» وضعتـه لتلاميـذ وطلبـة المعاهـد العلميَّـة، ليفتـح لهـم أبـواب المراسـلات، ويرشـدهم إلـى الطريـق الأقـوم فـي المخاطبـات، مراعيًـا فـي لغتـه متعـارف الأوسـاط مـن القُـرَّاء، ولـم أتـوخّ فـي تحريـره فصاحـة البلغـاء.

الباب الأول

في رسائل النصح

(من أستاذ إلى تلاميذه ينصحهم في آخر السّنة الدراسية)

حضرات الطلبة -أعزّكم الله، وبارك فيكم- اعلموا أن الأستاذ لا ينظر إلى تلميذه بعين الغضب، أو يرفع صوته لتوبيخه أو يضطرّ لعقابه إلاّ إذا رأى منه اعوجاجًا في سيره، ولا تظنّوا أن عمله هذا صادر عن بُغض أو كُره -كلاّ- بل إن قلبه مُفَعم بالحبّ والانعطاف نحوكم، ولكن الغصن الرّطيب يُقوَّم بالتّربية ليخرج معتدلًا؛ «ومن أدّب ولده صغيرًا، سُرَّ به كبيرًا».

إن الأستاذ بمنزلة الطبيب الرّفيق الذي يسقي مريضه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصّحة.

إن الأستاذ يحبّكم، ومن أجلكم يحبّ عائلاتكم التي أنتم فرعها وينبوع سعادتها، بل ومن جرائكم يحبّ الوطن العزيز الذي أنتم محطّ آماله.

تلاميذي: إذا عملتم أعمالًا صالحة بها يرتقي الوطن العزيز،

فأستاذكم أوّل مُبُاه بكم، ويعدّ هذه الأعمال ثمرات أنتجتها بُذور ألقيت في أرض مخصبة، بُذُور جيّدة بذَرها في أذهانكم، وغرسها في نفوسكم الطّيبة من يوم نعومة أظفاركم، فالأستاذ حيّ يذكر ما دام تلميذ من تلاميذه في هذه الحياة الدنيا، وحاشا أن تكونوا مثل أولئك الذين إذاغادروا المدرسة وقابلوا أحد معلّميهم يتجاهلون معرفته ولا يقرئونه السلام، فهؤلاء أحطّ من العجماوات وأضلّ سبيلًا، لأن العجماوات تذكر للمحسن إحسانه ولا تنساه،

تلاميذي: تعلّموا العلم للعلم فإن اللّذة العلمية وحدها تفوق كلّ لذة في الوجود عند من يحسن استعمالها، وتخفّف على صاحبها كثيرًا من مشاقّ الحياة، وكلّما ازداد الإنسان علمًا ازداد شوقا إلى الاستزادة منه، وابذلوا النّفس والنّفيس في نشر التّعليم وغرس التّربية والتّهذيب بين طبقات الأمة بلا تفريق بين الذكور والإناث.

علّموا الجهّال ما استطعتم، فإن أعظم جرائم الحاكمين أنهم لا يجعلون التّعليم مجّانًا، والجهل ظلمة وإن تبعة الذنوب التي تجري في هذه الظّلمة عائدة عليهم، وليس المجرم من يقترف الذّنب بل المجرم من ينشر الظّلمة على الأرض؛ علّموهم ولا تورّثوهم، فليست سعادة البلاد بوفرة إيرادها ولا بقِوّة حصونها ولا بجمال مبانيها ولا باتّساع شوارعها، ونظام ميادينها، وإنما سعادتها بعدد المهذّبين من أبنائها، وبعدد الرّجال ذوي التربية والأخلاق.

تلاميذي: أنصحكم بالمُثابرة على المطالعة فهي غذاء النُّفوس ومرشدة إلى طريق الحق، وداعية إلى منهج الصدق، بل هي صديقة لا تتغيّر لها خليقة، ولا تتبدّل لها في الشدَّة والرّخاء سليقة، ولتكن مطالعتكم في المطبوعات العلمية الأدبية، وإياكم وكتبَ الخرافات والأوهام، المضرّة بالعقائد والأفكار.

وحذار من أقاصيص الهزل، وروايات الخلاعة والمجون، والصحف الهزلية، فهي شرّ ووبال على قرّائها، خصوصًا على الأحداث من بينهم لأنها مقرّ أقذار، وماعون آثام.

إن انتخاب المطالعات هو كانتقاء الأصدقاء؛ كلاهما من الأهميّة بمكان، فإنّا مسئولون عمّا نطالع بقدر ما نحن مسئولون عمّا نفعل، وإن أفضل المطالعات وأكثرها لذّة ما كان القصد منه ترقية الفكر لا تسلية الخاطر.

إن المطالعة كالنار تحرق المطالع إذا كان ما يطالعه رديئًا، وتنيره إذا كان مفيدًا؛ فكما أن النّار تحرق الأصابع إذا دنت منها فهي أيضًا تنير البيت وتدفئه وتطبخ طعامه وتنشر فيه البخور وريح العود إذا ألقي فيها، فضررها وفائدتها إذًا نسبيّان؛ «أي إنه إذا أحسن استعمالها كانت مفيدة، وإذا أسيء استعمالها كانت مضرّة».

تلاميذي: إن ضياع الوقت لا يوازيه شيء آخر، مهما كان نفيسًا؛ فإذا فرَّطتم في متاع عزيز أو تحفة ثمينة أمكنكم استرادادها بضرب من ضروب الحيل، أما إذا فرَّطتم في ساعة من عمركم وأضعتموها بدون أن تكتسبوا فيها خيرًا أو محمدة فلا يمكنكم استرداد تلك الساعة ولو بذلتم في سبيلها ملء الأرض ذهبًا، فالوقت إذًا أثمن من الذّهب وأعزّ منه.

واعلموا أن اللذة التي تجعل للحياة قيمة ليست حيازة الذَّهب ولا شرفَ النّسب ولا علوَّ المنصب ولا شيئا من الأشياء التي يجري وراءها الناس عادة، وإنما هي أن يكون الإنسان قوة عاملة ذات أثر خالد في العالم، والله سبحانه وتعالى يهديكم إلى الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين؛ آمين.

(من والد إلى ولده ينصحه بالاجتهاد ويُبيّن له فوائد العلم)

ولدي وغاية قصدي:

سلام عليك وعلى حضرات أساتذتك الأفاضل، وجميع إخوانك الأماثل، وبعد.

فإني يا بُني ألفت نظرك إلى ما فيه صلاحك وعليه نجاحك وفلاحك، من اجتهادك في دروسك، وحسن استماعك لما يُلقيه عليك معلّمك، مع استسهالك الصّعب في إدراك المنى، من العلوم التي لم أتحمّل صعوبة بُعدك عنّي إلاّ لأجلها

اطلب العلم ولا تكسل فما أبعدَ الخيرَ على أهل الكسل

واحفظ جميع ما يُلقيه عليك أستاذك، حتى لا يفوتك من نتائج أفكاره شاردة، ولا يضيع منك صادرة ولا واردة، واحرص على الأدب معه بكل احترام، وتلقَّه بالإجلال والإكرام، فتعظم في عينه، وتكبر في قلبه، خصوصًا عندما يراك عاكفًا على دروسك بعزم قوي، وحزم ثابت، ونيّة خالصة؛ «فمن جدّ وجد، ومن تعب صغيرًا استراح كبيرًا».

وإن اتّبعت هوى نفسك، وأهملت في درسك وسلكت مسلك الكسالي، كنت من الأخسرين أعمالًا، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يَحسبون أنهم يُحسنون صنعًا. واعلم يا ولدي أن العلم نور وتجارة لن تبور، لا يعتورها كساد، وتزداد كلّما أنفقت منها؛ كيف لا والعلم للفقير مال، وللغنيّ كمال، وللعاطل حِلية ، وللعاري حلّة، يجعل للإنسان شأنًا رفيعًا، وجاهًا منيعًا، ومقامًا محمودًا، وفضلًا مشهودًا، بخلاف الجهل المشئوم، فإنّه جمّاع الرّذيلة،

ووصمة العار، ونذير الخراب والدّمار، لا يرضاه لنفسه إلا لئيم العرض، عديم الشّرف، وحسبك قول القائل:

رأيت العزّ في أدب وعلم وفي الجهل المذلّة والهوان

فتقبّل نصحي بأذُن صاغية وقلب سليم، تحظ بنجاح ومستقبل عظيم، وسلام عليك في المبدأ والختام.

(ردّ الخطاب السابق)

والدي الجليل: دمت محفوظًا، وبعناية الله ملحوظًا.

سلام عليك، سلام ولدٍ مُخلص لك، بارّ بك، سميع مطيع لأوامرك، خاضع لإجابة مطالبك، متقبّل بقبول حسن جميع نصائحك، وبعد.

فقد تشرّفت بكتابك الكريم، وتلوت جميع ما فيه مرارًا وتكرارًا، فازداد بصري نورًا، وملأ قلبي فرحًا وسرورًا، وحمدت ربّي على صحتك، وشكرته على كمال سلامتك وهنّأت نفسي بأني في ذاكرتك، تتلو عليَّ من صُحُف الحكم ما فيه مُزْدجر، وتملي عليَّ من آثار السّلف ما فيه العبر، فحفظت المبتدأ والخبر، واقتفيت هذا الأثر، حتى ألقاك يا والدي سعيدًا بهديك، غنيًّا بفضلك إن شاء الله تعالى، والسلام.

(آخر في نصح الوالد إلى ولده)

أي ولدي وثمرة حياتي!.. هداك الله، لكل ما أتمنّاه، عليك السلام ولك التّحية، وبعد.

فقد بعثت بك إلى معهد العلوم والمعارف، لاكتساب الآداب ومكارم الأخلاق، حتى تكون نافعًا لوطنك، وعونًا لأمتك، وعميدًا لأسرتك، عندما تُلقى إليك مقاليد الأعمال، وتُفوّض لك مَهامّ الأشغال، وبذلك تعيش عيشة هنيّة، وتفوز بسعادة أبديّة، يمتدح الناس خلالك ويحمدون فعالك، وترقى أوج الكمال، بكل إكرام وإجلال

إذا المرء لم يبن افتخارًا لنفسه تضايق عنه ما بنته جدوده

فإن كنت أنتَ عند ظنّي فيك، من اشتغالك بالدرس والعمل وابتعادك عن اللّهو واللّعب والكسل، وكذا عن كل ما يشين سُمعتك، ويُسوّد صحيفتك، ويحطّ من قدرك، ويضع من شرفك فأنا والدك الذي بك أفتخر، وبك أعتضد وأنتصر:

نِعَمُ الإله على العباد كثيرة وأجلهنّ نجابة الأولاد
فلرُبَّ مولود أقام لوالد شرفًا يدوم على مدى الآباد

وإن لم تكن كعهدي بك، وظنّي فيك، فقد ساءني حالك وخاب مآلك، وهو ما لا إخاله واقعًا منك، بهداية الله تعالى وتوفيقه، والسلام.

(رد الخطاب السابق)

سيدي ووالدي الجليل؛ دام علاه وأطال الله بقاه، بعد تقبيل يديك، وسلامي عليك، وشوقي الشديد إليك، أتشرّف بأني

قرأت كتابك الكريم، فحمدت ربّي على صحّتك، وفرحت كثيرًا بنصيحتك، وأعدّ نفسي سعيدًا بإنفاذ أوامرك، وإجابة مطالبك بالسمّع والطّاعة، لأن رضاك غاية رجائي، ونهاية آمالي، ومنار أعمالي، وإرشادك سرّ نجاحي، وطريق فلاحي، وحسن مستقبلي، وإني باذلٌ مجهودي وراء ما يكسبني الشّرف وعلوّ القدر، محافظ على ثقتك وعهدك ما استطعت، متّبع لنصائحك، مطيع لأوامرك، وسترى ما يسرّك، ويطيّب نفسك، ويقرّ عينك إن شاء الله تعالى، والسلام.

(آخر في نصح الوالد إلى ولده السيِّئ السلوكِ في المدرسة)

ولدي....

بلغني، أرشدك الله إلى الهداية، وأنقذك من مهاوي الضلّالة والغواية، ما اشتمل عليه حالك، وأصبح به اشتغالك، لورودك الموارد الوخيمة، وسلوكك غير الطريق المستقيمة، فما أسوأ من كانت هذه حالته، وما أقبح من كانت هذه سيرته، فإنه خسر آخرته ودنياه، وأخطأ طريق السلامة والنّجاة، وآثر العمى على الهُدَى، وضيّع أوقاته سُدى، وترك ما ينفعه ويُعلي قدره، وأضاع شرفه وفخره، وادَّعى التّقدّم، وكره التّعلّم، وأراد السعّادة ولم يسع لها سعيها، وأتى السيّادة من غير أبوابها، وخالف أساتذته ورئيسه، واتخذ اللّهو جليسه وأنيسه، فعليك يا ولدي بالتّوبة إلى مولاك، والنّدم على أُولاك، واترك الإهمال، ولذ بالجدّ في الأعمال، وتيقّظ من غفلتك، واسلك طريق منفعتك، وولّ وجهك قِبلَ العلوم، فهي سلّم السعّادة، والمرجع الوحيد

للإفادة والاستفادة، واعتبر بمن لعبوا في صغرهم، فلعبت بهم أيدي الحوادث في كبرهم، واترك ما لا يناسب قدرك، ولا يليق بمقامك، وتبصّر في عاقبة أمرك، وطالع خاتمة عملك، ولا تُقدم على أمر حتى تتعرّف موارده ومصادره، وتتبيّن مضايقه ومآزفه، فإذا أخذت له الأهبة، وأعددت له العُدَّة، فلج أبوابه غير هيّاب، وباشره غير خوّاف، وتخيّر من الخلال ما تستحسنه من غيرك، ولا تستقبحه من نفسك، واصرف زمنك فيما يفيدك، ولا تدع لُحيظة تضيع سدى؛ فكل شيء يستردّ إلا الزمن الذي هو من عمرك ومحسوب عليك. وأعدّ لمستقبلك ما استطعت من علم وعمل، وعلّل نفسك بالأمل وائتمر بكل ما أمرتك، تحمد حالك وعاقبتك، وإلا فلا تطمع في رضاي، والتمس لك والدًا سواي، والسلام!

(ردّ الخطاب السابق)

سيدي الوالد الجليل، أمدّ الله في بقائه، وأسبغ عليه جزيل نعمائه .

اليوم تشرّفت بمكتوب يدكم الكريمة، التي جعل الله العزّ في تقبيلها، والسّعد في اتباع سبيلها، بيدَ أني يا مولاي شابّ مفتون، والشباب شعلة من الجنون، حلّل لي الحرام وأوقعني في الآثام، حتى حَكمتُ على نفسي بأني لا أستحقّ أن أُدْعى ابنك، ولا أن أُعدّ في جُملة خدمك، لعدم سلوكي الطّريق المستقيم، وإضاعتي فُرصة التّعليم، ومخالفتي لناظر المدرسة والمعلمين، ومُحالفتي للشيطان الرجيم، فواحسرة على من تقطّعت به الأسباب، وحقّت

عليه كلمة العذاب، وويل للخارج بزلّاته عن حدّ الأدب، فاستحق من والده السّخط والغضب، وأصبح الجريح المقطوع، وصاحب الفؤاد المصدوع، شقيًا في حياته، منغّصًا في روحاته وغدواته؛ لا يستقرّ له قرار، ولا يبرأ من هذا العار، إلا بتوبته وندمه، ورجاء والده بإطفاء غضبه، فها أنا ذا يا والدي معترف بذنوبي، مقرّ بعيوبي، مُلتمس صدور عفوك، مسترحم مكارم خُلقك، واثق بحنان أبوّتك، معتاد على شفقتك، وأعوذ من غضبك بكرمك وأفرّ من ظلمي متحصنًا بعظيم حلمك، فرفقًا أيها الأب الصالح، وحنانيك بابنك الطّالح، الذي لا يرجو من دنياه إلا عفوك الكريم، وتجاوزًا عن جُرمه العظيم، وقد كتب إليك هذا مقرًا بفظيع ما اجترم، عاضًا أنامل الأسف قارعًا منّ النّدم، وقد بدَّل الدم من عيونه بالدّمع، وإني، والله على ما أقول شهيد، قد أمضيت عزيمتي، ووطّدت عقيدتي، على عدم العودة إلى ما لا يرضي الخالق والمخلوق، وأُقسمُ لك بالله ثلاثًا، لا آثمًا فيه ولا حانثًا، أني تائب توبة لا رجوع فيها.

وبعدُ، فرجائي شديد، وأملي وطيد، في نبذ ما فرط منّي ظهريًا وجعله نسيًا منسيًا، والسّماح لابنك الحزين بالحضور لديك والتشرّف بالمُثول بين يديك.

(من والد إلى ولده ينصحه بالطاعة لناظر مدرسته ولمعلميه)

ولدي...

كان بودّي أن تكون فاتحة كتابي هذا «السلام»، ولكن أبت أعمالك السّيّئة إلا أن أقدّم لك قارص الآلام؛ فإلى متى هذا التكاسل،

وقد جدَّ زملاؤك، واجتهد نُظراؤك؟! ألم يأن لك أن تؤاخذ نفسك بتقصيرك، وتحاسبها على تفريطك، وتستعمل عقلك الذي خلقه الله تعالى ميزانًا للإنسان، وتثوب إلى الصواب الذي عاقبته السلّام والأمان؟! فقد ساءني كثيرًا ما بلغني أنك لحضرة ناظرك غير مطيع، ولأوقاتك الثّمينة مضيع، ومهملٌ في تأدية الواجبات، ومستعمل مع حضرات المعلّمين ضروب الإساءات، مع أن أقوم سبيل تصل به إلى درجة الفضلاء، وترتقي به إلى مراتب العلياء، أن تحترم ناظرك ومُعلّميك؛ فلهم مزيد الفضل عليك وأسمى الشّكر على ما أسدوه إليك، والحذر أن تعدّهم أعداءً لك، بل احترمهم وامتثل أوامرهم؛ فإنما الأستاذ الحكيم كطبيب رحيم يَظهَر أنه يضطهد مريضه وهو لا يضطهد إلا مرضه ولا يعذِّب ذلك الذي يهتمّ بأمره إلا لكي ينقذه من الوجع الذي يتألّم منه؛ هكذا الأساتذة نحو التلاميذ الذين يؤدّبونهم، فتعنيفهم الظّاهري إنما هو في الحقيقة نعمة نافعة، والآلام التي يشعر بها التلاميذ إنما هي أدوية ناجعة.

إنّ المعلّم والطّبيب كلاهما ... لا ينصحان إذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه ... واصبر لجهلك إن جفوت مُعلّمًا

فيا ولدي أفق من نومك، وقوّم عوجك، ودع الطّيش والكسل، والزم الاجتهاد وحُبَّ العمل، واستمل إليك المدرسين بطاعتك أوامرهم، وتأدّبك معهم، لأنهم إنما يجهدون أنفسهم لإنارة عقلك، ولاغرض لهم سوى نفعك، والسّعي وراء ما يعود عليك بارتقائك إلى أوج المعالي، ويكفل لك خير حال، وأسعد استقبال، وقد بصّرتك لتكون على بيّنة من أمرك، وبصيرة على نفسك، تولاّك الله بالسّداد، ووجّه لك الخير والإسعاد، وحاطك بحسن الرأي، والسلام على من اتبع الهدى.

(رد الخطاب السابق)

والدي الجليل أدام الله علاه، وحفظه وأبقا.

بعد تقبيلي يديك، وسلامي عليك، وشوقي إليك.

أتشرّف بأنّه أتاني كتابك على حين غفلة، وسرعان ما شممت ريح التّوبيخ من طيّه، فشرعت في قراءته بين الرّجاء والخوف، وإذا بوميض السّخط يَلمع من خِلال سطُوره، وصَواعق التّبكيت والتّهديد ترميني من وسط طروسه، فما كِدت أتمّ قراءته، حتى أمطرت عيناي دموع النّدم، وأقبلتُ ألوم نفسي على ما سوّلت لي من سوء سلوكي في المدرسة، وعدم مبالاتي بعصياني رئيسي وأساتذتي، وإسخاطي والديّ، وإنكاري جميلَهم عليّ؛ حقًا: إني لمن العاقّين، المغضوب عليهم الضالّين؛ حيث قابلت الإحسان بالإساءة، وتصرّفت تصرّف من لا يعلم أنه في (معهد) انقطع فيه لاقتباس العُلوم، وتهذيب الأخلاق، لالإضاعة أعزّ الأيام في اللّهو والطّغيان، والآن حصحص الحقّ، واعترفت بخطئي، ورجعت ألوم نفسي الأمّارة بالسوّء على قبح سيري، وسوء سلوكي، والتزمت أن أسلك سبيل الاستقامة من الآن فصاعدًا، وأبذل جهدي، وأوجّه همّتي إلى دروسي، وأواظب على تأدية أعمالي، وأطيع رئيسي وأساتذتي، حتى أنال رضاهم عليَّ.

وختامًا: أرجو أن تذيقني حلاوة الرّضا، وتسبل ستار العفو عمّا مضى، وثقتي متينة بأن حلمك يسع ذنبي، ورأفتك تستر زَلّتي وألا تورثني الكآبة والحزن، وتتركني فريسة اليأس والمِحَن، والسلام.

(من أخ إلى أخيه ينصحه)

أخي وحبيبي..

عليك سلامي، ولك عظيم إكرامي، وبعد.

فقد سمعت عنك أمورًا أنكرتُها، وبلغني مساوئ كرهتها، وشاع ذلك بين أُسرتك، حتى وصل خبره لحضرة والدك، فكبُر علينا هذا المُصاب، وبادرت لتحرير هذا الكتاب، لأنصحك يا أخي بترك ما لا يناسب قدرك، ولا يليق بمقام عائلتك، وتبصّر في عاقبة أمرك، وطالع خاتمة عملك.

أي أخي؛ كن كعهدي بك، وظنّي فيك، ولا تدعني أسمع عنك ما يُؤلمني، وأقلع عما أنت عليه، وأمضِ عزيمتك على التّوبة

إليه، حتى تجد منّي، ومن أبيك وإخوتك، وأهلك وعشيرتك عونًا وناصرًا، وناصحًا ومخلصًا، وأعدْ لاسمك حُسن السمعة، وثناء الأحدوثة، تعشْ سالمًا والقول فيك جميل، والسلام.

(ردّ الخطاب السابق)

سيدي الأخ المخلص، متّعني الله بوجوده.

سلام عليك، وشوقي إليك، وبعد.

فقد تشرّفت بكتابك، المعرب عن تمام صحّتك، وكمال سلامتك، وتقبلّته بقبول حسن، وفرحت كثيرًا بنصائحه الأخوّية، الصّادرة عن إخلاص وحسن طويّة، فلك الشكر والامتنان، وعليّ الخضوع والإذعان، غير أنّ ما وصل إلى مسامعك من انحرافي عن جادّة

الاستقامة افتراء وكذب، ليس له ظلّ من الحقيقة، ومخالف للواقع ونفس الأمر، ويعلم الله أني بريء مما نُسِب إليّ، وما اقترفت منكرًا يغضب الله جلّ شأنه، ويوجب تكدير خاطر سيّدي الوالد، وأنت خبير بتضليل الوشاة الذين يعيثون في الأرض فسادًا؛ الذين لا يهنأ لهم بال، ولا يستقرّ لهم حال، إلا بتفريق الأهل والإخوان، وحاشا أن أتحوّل عن ماضي عهدي الذي تعوّدته من الصغّر؛ كيف لا وقد اكتسبت الآن تجربة واختبارًا، واتخذت من حوادث الدهر موعظة واعتبارًا، فلا تُصْغِ لكلام المُفتري الساقط، واضرب بوشايته عرضَ الحائط، واعتقدْ بأني أخوك الذي أدّبه والده فأحسن تأديبه، وهذّبه فأتقن تهذيبه.

أي أخي الحبيب، أستحلفك بالله، أن تتقدّم إلى مولاي الوالد الجليل، وتنزع من فكره تلك الوشاية، وتقنعه بتزوير تلك الجناية، وكفاني أدبًا وعقابًا، وردعًا وزجرًا، ما أقاسيه وأعانيه من غضبه وعدم رضاه، حتى أصبحت في بؤس وعناء، وحيرة وشقاء، أرجو صفحه، وألتمس عفوه، فليرحمني بعدله وإحسانه؛ إن الله يحبّ المحسنين، والسلام.

(من عمّ إلى ابن أخيه المسافر في طلب العلم)

ابن أخي العزيز، أصلح الله حالك، ورفع في الدّارين شأنك. سلامي عليك، وشوقي إليك، وبعدُ.

فهذا كتابي أذكر لك فيه بعض نصائح لتكون لك في الغربة خير مُرشد إن شاء الله تعالى.

أي بُنـيّ؛ إذا انفـردت فـي الطّريـق فـلا تكـن بـلا سـلاح، لأنـك لا تعلـم متـى تُصـادف العـدوّ، ولا تُصـدّق كلّ مـا تسـمع؛ فربمّـا كان الناقـل مخطئًـا أو ذا غايـة سيئة، ولا تنـمّ علـى أحـد، أو تكشـف سـرًّا لمـن أمّنـك علـى سـرّه، ولا تصاحـب صديقًـا قبـل تجربتـه؛ فربّمـا غـرّك الظّاهـر فجلبـت عليـك صحبتـه الأذى، ولا تيـأس إذا ضاقـت بـك الحـال يومًـا؛ فـإن مـع العسـر يسـرًا، ولا تَـدَعْ دقيقـة مـن وقتـك تذهـب سـدًى، ولا تُعاشـر إلا الأدبـاء فتكتسـب منهـم أدبًـا وظرفًـا، وكـن ممـن إذا وعـد وفـى، وإذا قـال فعـل، وإذا سُـئل أجـاب، وكـن حليمًـا عنـد الغضـب؛ فـإن الحلـم فضيلـة النّفـس، وعامـل النـاس بمـا تشـتهي أن يعاملـوك بـه، واحتـرمْ رئيسـك ولـو مـزح أمامـك؛ فـإن احترامـك لـه يرفعـك فـي عينـه، وإذا أمـرك بطاعـة فامتثـل أمـره، واجتهـد فـي عـدم تكـرار الأسـئلة عليـه، وتمعّـن فـي مـا يقولـه لـك دون مُقاطعـة حديثـه، ولا يُحبّبـك إلـى رئيسـك إلا الأمانـة والنّشـاط لأنهمـا عنـوان الثّبـات؛ فتحـلّ بهمـا تعـش سـعيدًا، والسـلام.

(ردّ الخطاب السابق)

سيدي العمّ، حفظه الله.

أهـدي أشـرف السـلّام، وأقبّـل الأيـدي الكـرام، بكمـال التّعظيـم والاحتـرام، وبعـد.

فقـد تشـرّفت بمكتوبـك الكريـم، الـذي يشـفّ عـن حكمـة حكيـم، بمـا أبديتـه فيـه مـن النّصائـح والوصايـا، ومـا خصّصتنـي فيـه مـن المزايـا، فسـررت مـن تلـك العنايـة، وأكبـرت تلـك الرّعايـة، وقـدرت

معروفك الذي قمت به في غياب والدي حقّ قدره، ولا غرابة؛ فإنك الوالد الذي يلجأ إليه حال الشدَّة، والعون وقت الضيق، فلأشكرنّك شكرًا يفوق شكر الأسير لمن أطلقه، والمملوك لمن أعتقه، بل شكر الأرض للديم، وزُهير لهرَم؛ أبقاك الله للجميل تُحيي معالمه، وتُعلي مكارمه، والسلام.

(من والد إلى ولده الذي أرسله ليتعلّم في مدارس أوروبّا)

ولدي، وفلذة كبدي، وريحانة فؤادي؛

أنت تعلم يا ولدي، «أعزك الله»، ما أقاسيه من ألم بُعدك، وشدّة وحشتي بَعدك، واشتياقي إلى رؤية طلعتك، وإني من يوم سفرك لم يزل فؤداي عُرضة للقلق، مشغولًا من جهتك، تتلاعب به الأفكار، تلاعُب الهواء بالنّار، والأعاصير بالغصن النّضير، وما أردت بهجرتك إلا الإصلاح ما استطعت، وطلبت لك الخير والسّعادة ما قدرت؛ فأرسلتك إلى بلاد غير بلادك، وأوطان غير أوطانك، بعيدًا عن الأهل والأصدقاء، والأصحاب والرّفقاء كي أحفظ لك مستقبلًا سعيدًا، وأبغي لك شأنا جليلًا، في وسط راق، أهل جدّ ونشاط، وسعي واجتهاد، واكتشاف واختراع أولي فضل وعلم وَرأي وخِبرة، قد أدّبتهم الحكمة، وأحكمتهم التّجَارب؛ فكن منافسًا لهم في هذه المكارم، متسابقًا معهم في نيل تلك الفضائل، حتى نزداد بك شرفًا، وتعظُم بك البلاد قدرًا وفخرًا، وهذا ما أعهده فيك، وأنتظره منك، والسلام.

(ردّ الخطاب السابق)

والدي الأجل، أدامه الله، وسرّني ببقائه.

بعد سلامي عليك، وتحيتي لك، وشوقي إليك، اليوم لي الشّرف العظيم، بوصول مكتوبك الكريم، الذي قرّت به عيني، وانشرح له صدري، وبشّرني بتمام صحتك، كما سرّني بحسن نصائحك؛ فشكرًا لك يا روح حياتي، ومنشأ وجودي، ومصدر نعمتي، أدام الله لك الخير والسعادة، ورزقك الحسنى وزيادة.

حقًّا يا والدي؛ إني فارقتُ الوطن العزيز في طلب العلوم والمعارف، وصرتُ الآن غريبًا بين قومٍ أولي عزم وقوّة، وبأس وهمّة، يَستنبتون الصّخر، ويخصبون الأرض المجدبة، ويستخرجون منهما الذّهب والفضّة، وينفقونهما في سبيل ترقّي بلادهم وأمتهم؛ علومهم راقية، وآدابهم كاملة، وأخلاقهم فاضلة، وصفاتهم جليلة سامية، وإن شخصًا مثلي يوجد بين هؤلاء القوم لابد وأن يكتسب من علومهم، ويستفيد من آدابهم، ويتخلَّق بأخلاقهم، وأبشرك بأني قد استفدت منهم آدابًا وأخلاقًا، واكتسبت علمًا ومعرفة ودراية وخبرة، وحُزْت ثقة كثير من أهل العلم والفضل، وعُرفت بينهم بما تحبّ أن أُعرف به، وما حُبِّبَ إليّ الاغتراب عن أوطاني والابتعاد عن أهلي وإخواني، إلا ما أردته من نفع الأمة والبلاد، بجلب الخير والإسعاد، وليس غريبًا عن وطنه وأهله من يعمل لخيرهما وسعادتهما، إن شاء الله تعالى، والسلام.

(من أخ إلى أخيه ينصحه بالاعتماد على نفسه)

حضرة الأخ المحترم

أهديك تحية الإخلاص، وبعْدُ.

فالاعتماد على النفس أساس الرُّقيّ، وسرُّ النجاح يدعو صاحبه إلى الجدّ، ويسوقه إلى النشاط، ويقتل من نفسه خُلُقَ التَّوا كُل، الّذي أخر كثيرًا من الناس، ووضع من قدرهم، وحطّ من شأنهم؛ فواجب عليك يا أخي ألاّ تعوّل على غيرك، وأن تعتمد في شؤونك على نفسك؛

فإنما رجل الدّنيا وواحدها مَنْ لا يُعوّل في الدنيا على رجل

فما ألذّ من مباشرة الإنسان عملَه، ومن نظره في أحواله وحده، فلا يحتاج إلى معين يعينه، أو مشارك يشاركه، وبذلك يهنأ باله، ويصلح حاله، ويبارك الله له في ماله، ويصبح والسعد قرينه، والتقدّم حليفه؛

ما حَكَّ جسمَك مثلُ ظفرك فتولّ أنت شؤون نفسك

فنجاحك يا أخي موقوف على اعتمادك على نفسك، وجدّك ونشاطك، وسعيك واجتهادك،

وكلّ شيء جناه ممكن أبدًا إلا إذا اعتصم الإنسان بالكسل

وجّه الله لك الخير والسّداد، ووفّقك لقبول النّصح والرّشاد.

(من والد إلى ولده ينصحه بالاقتصاد)

ولدي المحبوب، لا عدمته.

بعد إهدائك تحيّة الأُبُوة للبُنُوَّة أخبرك أنّي استعرت من

ضعفي قوّة، لأنصحك بأن تأخذ من صغرك لكبرك، وتقتصد من شبابك لشيخوختك؛ فالاقتصاد وراءه كلّ كمال، إذ به يجد الإنسان عمادًا يعتمد عليه عند الحاجة، ونزول المُلِمّة، لأن المرء عُرْضة للمرض، عُرضة للفقر، عرضة لجميع النّوائب؛ فواجب عليك يا ولدي أن تدّخر من مالك ما يقيك شر المصائب، ويحفظك من عوادي النّوائب، كيف لا وإن ما وراءك من الواجبات والحقوق ما يحملك على ادّخار المال لأدائها، والقيام بها؛

المال عون به تدنو لك النعم فكم به عَزّ جاهٌ وارتقت أمم

وكيف يؤدي الواجبات اللازمة من لم يدّخر من ماله ما يكفل له القيام بها؟ أم كيف يقوم بهذه الحقوق من أسرف وبذّر، أو بخل وقتّر؟ إنه لينهزم أمامها، ويتقهقر منها، دون أن يؤديها، أو يقوم بشيء منها، والسّلام على من اتّبع الهدى.

(من والد إلى ولده ينصحه بالاجتهاد في دروسه)

أي ولدي، وثمرة فؤادي.

قد دعتني الرّأفة بك، والشّفقة عليك، والمحافظة على تخليد أثري أن أدخلك المدرسة، وأنظمك في سلك تلاميذها لتكون ملجأ لأسرتك، عونًا لإخوتك، نافعًا لوطنك، مساعدًا لبني جنسك، مؤمّلًا فيك أن تسير في الدروس سيرة أولي الرشاد، وأن تشمّر عن ساعد الجدّ والاجتهاد.

فأولى ماله ذو اللّب يسعى مراقي النفس لا غِيدٌ ومال
بحسن السعي قدر المرء يعلو وكسب المجد ليس له مثال

وكن يا ولدي مُطيعًا، ولنصحي سميعًا، واعلم أن الجزاء على قدر العمل، وآفة كل شيء هو الكسل، فإذا وعيت نصائحي وأودعتها فؤادك، نلت مرادك، وسدت على الأقران، وفقت جميع الإخوان، وقرّت بك عين أبيك، وطابت نفس أهاليك، وما عليك إلا أن تبني لك مجدًا، لتكتسب من والدك ثناءً وحمدًا، والسلام.

(من والدة تنصح ولدها بالتمسك بالآداب)

أي ولدي، وفلذة كبدي، وريحانة روحي

أقبّل وجنتيك، وسلامي عليك، دمت في صفاء، وعشت في هناء. بُنيّ؛ قد فارقت وطنك وأهلك، وإخوانك وأحبابك، وذلك أمر عسير عليك، وعليّ غير يسير، ولكن هذا كله يُستهان به في طلب العلم والتعلّم، وفي خدمة الوطن والرّقي والتّقدّم، ولقد نشأت على الفضيلة وتعوّدت مكارم الأخلاق، وتلك نعمة من نِعم الله الكبرى، التي منّ الله بها عليك، فتمسّك بها في غيبتك، وضاعفها كثيرًا في أوبتك، وما دام الشّرف شعارك وحسن السّلوك دِثارك، وتقوى الله مذهبك، وحبّ الوطن دَيدنك، فلك حبي ورضايَ، وجميع ما ملكت يداي، وإياك والاغترار؛ فإنه يوقعك فيما يُرديك، ولا يُرضيك، ويسوقك إلى ما يشمت بك أعاديك، وكفى بهذا تبصرة؛ فليس لك بعدها معذرة، والسلام.

(من والدة تنصح ولدها بالاستعداد للامتحان)

إلى قرّة العين وريحانة الفؤاد.

سلام وشوق شديد، وبعد.

فقد قرب يوم الامتحان، الذي يكرم فيه التلميذ أو يهان، فعليك يا ولدي بالجدّ والاجتهاد، والمُثابرة على تحصيل علومك، مع التّدبُّر والتّفهّم، متفانيًا في حبّ ما يوجب لك التقدّم، ساهرًا على مصلحتك، حريصًا على منفعتك، حاصلًا على درجة تجعلك في مقدّمة إخوانك، وأمام الكثير من زملائك، من نيل المجد والشّرف اللائقين بأمثالك، ولا ريب أن ذلك متوقف على نجاحك واجتيازك كلّ عقبة في تأدية امتحانك، ولكل مجتهد نصيب، حقّق الله أملي برقيّك، وسعادتك عن قريب.

وعهدي بك يا ولدي الاجتهاد وحبّ العمل، فلتحقّق عهدي بل حتى تكون لك عندي المنزلة العليا، والدّرجة الرفيعة، وانظر في مستقبلك بعين الحكمة، وقارن بين العلم والجهل، واختر لنفسك ما ترضى، وإني على ثقة من حسن اختيارك للعلم الذي يقيك نوائب الأيام، ومصائب الدّهر، ولا تترك شيئًا من وقتك، يضيع من غير عمل ينفعك، وشغل يفيدك، وتدارك ما فاتك في أوقات فراغك وساعات خلوّك من العمل، ولا أراك إن شاء الله إلا مؤتمرًا بأوامر والدتك التي، إن سعت إلى تحصيل مرغوب، أو نيل مطلوب، فإلى تعليمك المسعَى، ولنجاحك وعلوّ ذكرك أبذل نفيس أموالي، حتى تعيش عيشة راضية، كريمًا بين الناس عظيم المنزلة في نفوسهم، فأجعل لك من سعيي نصيبًا، ومن حياتي ممرًّا إلى حياتك، ومن مالي مجازًا إلى بغيتك،

والله سبحانه وتعالى هو المسئول أن يهديك إلى ما فيه خيرك وصلاحك، والسلام.

(من والدة تنصح ابنتها بمكارم الأخلاق)

أي بُنيتي سُعاد، وجّه الله إليك الإسعاد.

أقبّل وجناتك، وأضمّ صدري إلى قوامك، وأهديك أزكى التحيّات، ووافر التّسليمات، وبعد.

فأنت تعلمين، «أعزّك الله»، ما أقاسيه من ألم بُعدك، وشدّة وحشتي بَعدك، من منذ توجهّك إلى المدرسة، لتكوني أدبية كاملة، مهذّبة فاضلة، عارفة بما يجب لك وعليك، حتى إذا كنت رَبّة بيت، ورئيسة منزل، قدرت على أن تسيري به في طُرق الخير، ومناهج السّعادة؛ فالمنزل مملكة صغيرة، وأنتِ مرشحة لتكوني مَليكتها الوحيدة في المستقبل، فإن أنت أحسنتَ تنظيمها، ونهجت في إدارة شؤونها السّبيل القويم، عِشت مُعظّمة قريرة العين في مملكتك، كما يعيش الملك العادل الخبير بضروب السيّاسة آمنًا في رعيّته، يسعى لها في التّقدّم والارتقاء، وهي تسعد به وتتمنَّى له دوام العافية وطول البقاء، ولم أبعث بك إلى المدرسة لتعرفي القراءة والكتابة، مجرّدين من الآداب، غير مصحوبين بمكارم الأخلاق؛ حاشا أن أقصد لك هذا التعليم العقيم الذي يعود على البنات بالضّرر الجسيم، وإنما أبغي لك أن تكوني على خُلُق عظيم، حائزة كل أدب وكمال، موصوفة بالعِفّة، وطهارة النفس، عارفة بشؤون منزلك من إصلاح الأغذية، وإعداد الملابس، وتنظيف البيت، وملاطفة ربّه، وتَهوين أمر المعيشة عليه، وغير ذلك من الكمالات التي تنشرينها

بعدُ في أسرتك، فتعمر في حياتك، وتستمرّ عامرة بعدك؛ فما أطولَ عُمر أسْرة روحها العلم والأدب، والعَفاف وحسن التّدبير! وما أقصرَ أيّام أمة حياتها الجهل والتّبذير!

أقول لك ذلك لتشمّري عن ساعد الجدّ، وتحرزي نصيبًا وافرًا من العلوم والمعارف، وتكوني زهرة نضيرة طاهرة، يتأرّج طيبها في سماء الأدب، بين أخواتك وأترابك، وإن شاء الله تعالى لا أسمع عنك إلا خيرًا، ولا أعلم إلا ما يسرّني ويفرحني، والسلام.

(رد الجواب السابق)

حضرة سيدتي الوالدة المصونة، متّعني الله بطول حياتها.

بعد إهداء السّلام، وأداء فرائض الاحترام، أفيدك يا والدتي بأني تشرّفت بكتابك في أسعد الأوقات، وبتلاوته اطمأننت على صحتك وشكرته على سلامتك.

أمَّاه؛ ما كدتُ أنتهي من قراءة مكتوبك، إلا وفرحت بنصائحه كثيرًا، وأنعمت نظري فيه مرارًا وتكرارًا، وأخذت أنفّذ جميع ما فيه بارتياح، معتقدة من صميم فؤادي بأن فيه النّجاح والفلاح؛ كيف لا، والعلم بدون عمل، كشجر بلا ثمر، خصوصًا لأمثالنا نحن البنات؛ يلزمهن أن يكنّ حريصات، على اكتساب المعارف العملية، وإتقان الأعمال المنزلية، وجميع الأشغال اليدوّية؛ فها أناذا باذلة جهدي بقدر ما أستطيع، محبوبة عند الجميع، خصوصًا عند حضرات السيدات، رئيستي والمعلمات، وزميلاتي الأخوات؛ فلهن منّي جميعًا جميل الحمد والشكر، والسلام.

(من أخت كبيرة لأختها الصغيرة تنصحها بعدم التَّبرُّج)

أختي وحبيبتي، وصديقتي وعزيزتي، عشت سعيدة، ودمت حبيبة، سلامي عليك، وشوقي إليك، وبعد.

فأنا أختك الكبيرة التي هي بمنزلة والدتك، أريد لك الخير ما استطعت، وأنت خبيرة بأن الواحدة منّا مرآة لأختها؛ تريها محاسنها ومعايبها. وأنا يهمنّي علوُّ شأنك، وارتفاع قدرك، وبلوغك ذروة الفضل والكمال. لهذا أول ما أوصيك به تقوى الله؛ فأطيعي أوامره، واجتنبي نواهيه، واتركي الإفراط في التأنق والتّرف، والتّغالي في الزّينة والتَّبرج، فإن ذلك مَضيعة للوقت، ومجلبة للشرّ. وعليك بالتوسّط؛ فخير الأمور أوسطها. وإن زينة الحشمة والوقار، والكمال والأدب خير من التّطرف في التَّبرج ولُبس الذّهب. وابذلي مجهودك في تكميل نفسك بالعلوم، ومكارم الأخلاق، وإياك أن تصحبي قبل الخبرة، واحذري أن تصادقي قبل التجربة، وكوني قدوة حسنة وشمسًا مشرقة، تقتدي بك أخواتك، وتستضيء بنورك قريناتك، وكوني عند ظنّي بك، وثقتي فيك، والسلام.

(جواب الأخت الصغيرة لأختها الكبيرة)

سيدتي المصونة، أختي الكبيرة.

تحية طيبة، وسلام عاطر، وشوق وافر، لا يُعبَّر عنه بلسان، ولا يوصف ببيان، فإنك ماثلة في قلبي، دائمة نُصب عيني، لم تزالي حديثي، ووجهة أفكاري، وبعد.

فقد تشرّفت بمكتوبك الذي هو من اللّطف غاية، ومن الحسن

نهاية، وتلوته في ساعة الصفّاء فألفيته أعذب من الماء، وأوقع في النّفس من بدائع الحكماء، وعملت بوصيّتك، وتمسّكت بنصيحتك، مستضيئة بنورها. مُهتدية بهَديها بكلّ سرور وارتياح، لعلمي بما أنت عليه من التّقوى والصّلاح. فأشكر لك حسن تلطّفك، وسموّ عواطفك، ورقة شعورك نحو أختك الصغيرة التي تحترمك من صميم فؤادها؛ دمت لها مرآة صقيلة، وع شت لها مؤدّبة جليلة، والسلام.

الباب الثاني

في رسائل الشكر

(من ولد إلى والده يشكر له عنايته بتعليمه في المدارس)

سيّدي الوالد- أدام الله وجودك، وسرّني ببقائك.

بأيّ لسان، أم بأيّ بنان، أنظم قلائد الشّكر على ما أسديتَه إليّ، وتفضّلت به عَلَيّ، من عنايتك بحسن تعلّمي، وسعيك وراء رقيي وتقدّمي، فلاعجب إذا قصُر كَلِمي عن مدحك، وعجز قلمي عن شكري لك؛ فإن نعمك التي طوّقت بها جِيدي، وأثقلت بها كاهلي، قد أسَرَتْ جناني وحبست لساني، ولكن الإناء يفيض عند امتلائه، والكيل يطفح عند وفائه، فلك الشكر يا والدي على اعتنائك بتأديبي، وكمال تهذيبي، مع الشفقة التي فاقت حنوّ كل حنون، ولا غرو؛ إذ انتمى لجنابك الجود والسّخاء، وفي باب علاك تحطّ رحال ذوي الأمل والرّجاء، لأنك لا تدع للمجد غاية إلّا سبقت إليها، ولا مكرمة إلا فعلتها وزدتَ عليها.

جـزاك اللـه مـن حُسـناك خيـرًا وكان لـك المُهيمـن خيـرَ راعـي
لقـد قصّـرت بالإحسـان لفظـي كمـا طوّلـتَ بالإنعـام باعـي
فدُمـتَ ولا برحـتَ مـدى الليالـي سـعيد الجـدّ ذا أمـر مُطـاع

لا عدمتـك والـدًا مؤدّبًـا. مربيّـا مهذّبـا، كريمًـا سـخيًا، بالعهـد وفيًـا بمنّـه تعالـى وكرمـه، والسـلام.

(شكر على معاونة في شدّة)

سـيدي الأعظـم، ومـولاي الأكـرم، أدام اللـه عـلاه، وحفظـه وأبقـاه. سـلام وتحيـة، وأشـواق قلبيّـة، وبعـد.

فمـا أنـا بالقـادر علـى شـكري لـك لعظيـم عملـك، وجليـل فعلـك، وحسـن معاونتـك، ومـن ذلـك عرفـتُ جميلـك، وعلمـت قـدرك، وتحقّقـت فضلـك، فلله دَرّك مـن شـهم كريـم؛ أنجيتنـي مـن شـدّة كادت تذهـب بآمالـي، وتقضـي علـى أعمالـي، وأبدلَـتْ صفـوي بالشّـقاء، وهنائـي بالعنَـاء؛

جـزى اللـه النّوائـب كل خيـر كمـا كانـت تُغصّصنـي بريقـي
ومـا شـكري لهـا إلا لأنـي عرفـت بهـا عـدوّى مـن صديقـي

كيـف أشـكر لـك هـذا الصنّـع الجميـل، وأحمـد هـذا الفعـل الجليـل لمولـى طبعـهَ اللـه علـى الشـيم الكريمـة والسّـجايا الشـريفة، والأخـلاق الفاضلـة، والصفـات الكاملـة، معهـودًا بإغاثـة الملهـوف، معروفًـا بإعانـة الضّعيـف، مشـهورًا بمسـاعدة الإخـوان؛ فللـه الحمـد علـى جزيـل مـا آتـاك، ولـه الشـكر علـى جليـل مـا أعطـاك؛ إذ قسـم لـك المـروءة

والشجاعة، ووهبك الشّفقة والرّحمة، فابتهجت النفوس بتلك المزايا الغرّاء، وانطلقت الألسنة بالشكر والثناء، تدعو لكم بطول العمر والبقاء، والسلام.

(من صديق إلى آخر يشكر له مساعدته إيّاه)

مولاي الأكرم، وسيدي الأعظم، لا عدمته.

بكلّ احترام أُقدّم تحية الإخلاص.. وبعد؛ فإني معترف بإحسانك، شاكر لك فضلك، وقد عجز نطقي عن شكري لأياديك الجزيلة، وتملّك رقّي صنائعُ برّك الجميلة، وأطلق لساني في سوالف نعمك، وقيّد جناني عوارف رفدك وكرمك، عَلَى أن حبك الخير وإسداءك الجميل ليس بقاصر علينا، بل عَمّ من حولنا، حتى شملت مروءتك الجميع، وشكر الكلُّ هذا الصّنيع؛ لازلت مصدرًا لكل جيمل، مذكورًا بكل ثناء جليل، ولا برحت مساعيك مشكورة، وأعمالك الخيرية مبرورة.

دُمت موفّقًا ما سار ركبٌ إلى ذاك الحِمى ولك السلام

(شكر مريض لطبيبه)

الطّبيب، «أطال الله بقاه»، أجلّ من أن يشكر له لسان، وأرفع من أن يعترف بجليل فضله إنسان؛ فإنّ الطّبيب بما وهبه الله، ملاك الإنسانيّة، ونبيّ الرحمة، ورجل المروءة، فمثلي يعجز عن تأدية الواجب عليه، إلى من أحسن إليه، بتخليصه من أفظع الأدواء،

وبِـرَدِّه إلـى عالـم الأحيـاء، بفضـل الله ثـم بنجـع الـدّواءِ، وإنّـي أبتهـل إلـى الرّحمـن الرّحيـم، الّـذي يُحيـي العظـام وهـي رميـم، وأرفـع أكـفّ الضّراعـة إليـه، أن يجزيـك عنّـي خيـر الجـزاء؛ حيـث لا طاقـة لي بشـكري لـك علـى مـا أنعمـت بـه علـيّ، وأسـديته إلـيّ، مـن مهجـة أحييتهـا، وحشاشـة أبقيتهـا، ورمـق أمسـكت بـه، وقمـت حاجـزًا بيـن التّلـف وبينـه.

ولا جَـرم أن لـكل نعمـة مـن نعـم الدنيـا حـدًّا ينتهـي إليـه، ومـدى تقـف عنـده، وغايـة مـن الشـكر يسـمو إليهـا الطّـرف خـلا هـذه النعمـة التـي فاقـت الوصـف، وتجـاوزت حـدّ الشّـكر، فللـه مـا أسـديت مـن اقتـلاع أصـل هـذا الـدّاء، بأسـهل معالجـة وأنجـع دواء، بعـد أن حكـم كثيـر مـن نُطـس الأطبّـاء، ومشـاهير الحكمـاء بـأن الـدّاء دفيـن لا ينجـع فيـه دواء؛

فلأشكرَنّك ما حييتُ وإن أمُت

فلَتَشكرنّك أعظُمي في قبرها

(مـن تلاميـذ يشـكرون لأسـتاذ لهـم انتقـل إلـى مدرسـة غير مدرسـتهم) حضـرة أسـتاذنا الجليـل، أدامـك الله محفوظًـا، وبعنايته تعالـى ملحوظًا، عليـك السّـلام، ومنّـا التّعظيـم والاحتـرام، سـلام أبنـاء مخلصيـن، إلـى مـربّ أميـن، أرشـدنا إلـى الصّـراط المسـتقيم، وأحسـن إلينـا فـي زمـن التّعليـم، وأخرجنـا مـن ظلمـات الجهـل، إلـى نور العلـم والفضـل، عرفناه أبًـا شـفيقًا، وعهدنـاه حنونًـا رفيقًـا، محبًّـا لسـعادتنا، محافظًـا علـى مسـتقبلنا ، لا يقصّـر فـي تأديـة الواجبـات، وسـاعة تدريسـه عندنـا مـن أسـعد الأوقـات، فنحـن وإن حرمنـا تلـك المزايـا، فنحـن غـرس يـدك، ونبـت بنـات فكرتـك، لـن نعـدم منـك مسـاعدًا عنـد الحاجـة، ومرشـدًا للإفـادة، ولا نجعـل ابتعـادك عـن عيوننـا، إلا تقرّبًـا مـن قلوبنـا، ولا غَـرو

إذا امتلكت نفوسنا؛ فأنت مرّبي الرّوح، والأرواح جنود مجنّدة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، ولئن كان للتّربية أثر في امتلاك القلوب، وللتّعليم سبيل إلى استحقاق الشّكر، فلقد كان منك إلينا ما جعلنا ألسنة تنطق بالشكر لك، وتلهج بمدحك، وسنظلّ لك مطيعين، ولآرائك سامعين، وبنصائحك مستضيئين، ولأياديك البيضاء حامدين، وإن شاء الله تعالى ترانا من العاملين، ونسأله جلّ شأنه مكافأة أمثالك من المعلّمين المحسنين، والسلام.

(جواب الأستاذ إلى تلاميذه)

أبنائي النّجباء، رجال المستقبل، ومن عليهم المعوّل؛ سلام عليكم، وشوقي إليكم، وبعدُ.

فقد تلوت كتابكم، وأكبرت شكري لكم، لأنّي مهما قدّمت من الخدمة، وبذلت من الهمّة، في سبيل تعليمكم، وطريق نفعكم، أعدّ نفسي مقصّرًا نحوكم، وكيف تشكرون لي تأدية واجب في ذمتي، وترفعونني مكانة فوق مكانتي، اللّهم إلا إذا كان هذا منكم تفضّلًا ورِقّة شعور وكمال إحساس، بارك الله في همتكم، وأمضى عزيمتكم، إلى ما فيه نفعكم، ونفع بلادكم، وعزّ أوطانكم؛ إنّه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، والسلام.

(شكر الجمعية الإسلامية إلى محسنٍ أهداها كتبًا)

إلى رب النّعماء، والأيادي البيضاء، السيد الأجلّ أدام الله عزّه بكلّ تعظيم واحترام، نقدّم أزكى السّلام، ونخبر سيادتكم

أنّه قد ورد إلى مكتبة الجمعيّة، جملة كتب هديّة، من أنفس الكتب القيّمة، في أغلب العلوم والفنون، مما تمسّ إليه حاجة المعلّمين والمتعلّمين، ولقد سررنا بما نالته الجمعيّة من نوالك، وازّينت مكتبتها بما حوته من جليل آثارك، وعظيم هداياك وجميل عطاياك، فأفادت بها واستفادت، ونفعت وانتفعت، ممّا يزيدها تقدّمًا، ويرفعها مقاما، فشكرًا للسيّد على اختيار هديّته، وشكرًا له على حسن عنايته، وليس هذا بأوّل أياديك، ولا بمنتهى أمانيك، فكم عرفناك وعرفتك الأمّة، في مواطن كثيرة، ومعاهد عديدة، شددت فيها أزر العلم، ونهضت بها نهوضًا مشهودًا، ورفعتها مقامًا محمودًا، فلازلت للعلم نصيرًا، وللأمّة ظهيرًا، ولإخوانك شمسًا مشرقة، يقتبسون من أنوارك، ويستضيئون بأعمالك، ويسيرون على نهجك القويم حتى ترقى البلاد، بالخير والأسعاد، والسلام.

(شكر تلميذ لعظيم سعى له في خدمته)

سيّدي ووليّ نعمتي، أدامك الله أمدًا، وحفظك للبؤساء سندا. أنا إن شكرت لحضرتك صنيعك الحسن، وسعيك الجليل وعددت مآثرك الخالدة، وجميل فعالك الطّريفة والتّالدة، لعاجز عن الوفاء، بما يكافئ الأيادي البيضاء.

أحسنَتْ وصفَه مساعيه حتّى أفحمت كلّ شاعر وخطيب

ولا عجب أيّها السيّد العليّ القدر، الرّفيع المنزلة، أن قصُر كلمي عن مدحك، أو عجز علمي عن الشّكر لك؛ فقد أوليتني من الإحسان الجزيل، والصنع الجميل، النِّعَمَ الوفيرة، والمساعي المشكورة،

وشملتني بخيرك، وأنعمت عليّ ببرّك، وسعيت لي سعيك المعهود، ورفعتني المقام المحمود، وأنلتني بغيتي، وأتممت لي رغبتي؛

جزاك الله من حُسناك خيرًا وكان لك المهيمن خير راعي

وهذا ما عوّدك الله عليه، وجعل جُلّ مسعاك إليه، وتلك شيمة تعوّدت عليها، وسجيّة مِلتَ، من الصّغر إليها، عرفك النّاس بحبّ الخير لشديد، سواء أكان للقريب أم للبعيد، متّع الله الأيام بوجودك، ونفع الأمة بوابل جودك، ولا زلت موئل النّعم، ومصدر المنن والكرم، وزادك رفعة وكمالا، وتعظيما وإجلالا؛

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله وهذا دُعاء للبريّة شاملُ

(شكر لمن أعارك كتاب جواهر الأدب)

صديقي المخلص، لا عدمت مروءتك.

سلامي واحترامي، لمقامك السّامي، وبعد.

فقد تشرّفت باستلام الكتاب الثّمين الذي تفضّلت بارساله على وجه الاستعارة، وأجبتني إلى ما طلبت، ولبيّت ما التمست، وانجز حرّ ما وعد، وذلك عهدي بك، وظني فيك، وإني لا أستطيع أن أعرب عما في نفسي، ولا أقدر أن أبين لك ما يدور بخَلَدي، مما يدلّ على مودّتك الوثيقة، وصداقتك الخالصة، ويعلم الله أني وددت لو أستطيع ببناني، وصف شكري وامتناني، وهيهات أن أجد لذلك سبيلًا؛ فإني إن شكرت، فَلَا أقوم ببعض الواجبات،

وإن سكتّ عجزًا فقدت أعظم الصفات؛ فأيَّ طريق أسلك؟ وقد وجدت أن لا حيلة لي على ذلك، إلا أن أستعير من كرم أخلاقك شكرًا إليك، ومن جليل شمائلك ثناء عليك، حتى أوفيك حقّك من الشكر، وتلتمس لي نصيبًا وافرًا من العذر، والسلام.

(شكر رئيس استقال من وظيفته لمرءوسيه)

حضرات الأفاضل؛ أعضاء الجمعية الإسلامية.

بعد تعطير ناديكم بأريج الثّناء، وإهداء تحيّات بهيَّة السَّناء، أرفع أكفّ الضّراعة إلى الله أن يجزيكم عنّي خير الجزاء؛ حيث لا طاقة لي بالشُّكر لحضراتكم على مآثركم الغرّاء، وفعالكم الحسناء، ومكارم أخلاقكم التي طبعكم الله عليها، ومنحكم إيَّاها؛ حُفِظتم لها، وحُفِظَتْ لكم.

إخواني؛ لقد رأيت منكم حبًا وإخلاصًا، وتضامنًا واتفاقًا، أعوانًا في الشّدائد، حُلفاء في النّوائب، شعاركم الطّاعة وعَلَمكم الشّجاعة، ورايتكم مكارم الأخلاق، ولا عجب؛ فأنتم خلاصة الشّبيبة النّاهضة، وصفوة الشبّان النّابغين، تعلّمتم فعملتم، وتربيّتم فتأدّبتم، وتهذّبتم فخدمتم وطنكم، وأخلصتم لبلادكم، فسارت بكم الأعمال سيرًا حثيثًا، وتقدّمتم تقدّمًا محسوسًا، وذلك بفضل همّتكم، وحسن إدارتكم، وخبرتكم التامَّة، وتجربتكم الفنّيّة، حتى لقد مضت المدّة التي مكثتها معكم على أحسن ما يكون من السّرور والصفّاء، أسأله تعالى ألاّ يحرمني من الاجتماع بكم، والتودّد إليكم، والسلام عليكم.

(شكر المرءوسين لرئيسهم المستقيل)

حضرة صاحب المعالي رئيسنا المحبوب

نرفع لمعالي حضرتكم تحياتنا القلبيَّة، كما رفعت لسعادتكم، أعلام المجد، وأشرقت من محيّا أفضالكم بدور السَّعد، وتضوَّعت النّوادي بطيب ذكر محاسنكم الباهرة، وتشنّفت الآذان بوصف مكارمكم الزّاهية الزَّاهرة،

مولاي؛ لنا الشّرف العظيم بأن نقدّم إليك كتابًا يعرب عن بعض ما انطوت عليه صدورنا لك من المحبّة المتينة، والتعلّق الشّديد، والإخلاص الذي لا يشوبه مَلَق، ولا يصحبه رِياء، ولا ينقصه تقلّب المَلَوَين، ولا تعاقُب النّيرين، وأن بُعدَك عن عيوننا، لم يزدك إلا قربًا من قلوبنا؛ كيف لا وما طُبِعت عليه من طهارة الأعراق، ومكارم الأخلاق، وما تعوّدته من الإحسان إلينا، والحنان والعطف علينا، هو الذي جعلنا طوع يمينك، ورهن إشارتك، فطاب عيشنا، وعزّت حياتنا، وحسنت إداراتنا، واتّفقت كلمتنا، وعلت شوكتنا، بفضل ما أعطاك الله من الحكمة، ووهبك من السيّاسة، فنحن إذا شكرنا عاجزون، وإذا أثنينا مقصّرون؛

إذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثني وفوق الذي نثني

فبقدر ما أسديت إلينا من نِعمك، وأحسنت إلينا من كمالك وأدبك، وجب علينا الشّكر، وشكر المنعم واجب؛

والله ما وفّيت شكرك حقه ولكنه وُسْعي ومبلغ إمكاني

أدام الله علاك، وزادك رفعة وقدرًا، مع صحة تامة، ونعمة عامة، وسرور وهناء، وخير وصفاء، والسلام.

(شكر فتاة لوالدتها على حسن عنايتها بها)

والدتي المحبوبة، وأمّي الحنونة، أبقاك الله وحفظك وحاطك وحرسك، كتابي إليك، والعين تحسده على مرآك، والقلب يغبطه على لقياك، والنفس تودّ لو كانت مداد قلمه، أو حرفًا من حروف كلمه، لتبلغ الأمل من لثم الأنامل، وتتمتّع بشمول تلك الشمائل، وبعد.

فهذا كتابي إلى من ملكت رقبتي بنعمتها، وأسرت أسري بمنّتها، ويعلم الله ما بنفسي لك من المحبّة الخالصة، وما بقلبي من السّرور العظيم بوجودك.

أُمّاه؛ من نشر ثوب الثّناء فقد أدّى واجب الجزاء، وفي كتمان الشكر جحود لما وجب من الحق، ودخول في كفر النّعم، ولكن مهما حمدت فإني لست والله بالقادرة على مقابلة فعالك الحسنى بأمثالها، ولا في استطاعتي أن أقوم لك بمكافأة؛ فأنتِ التي غمرتني بنعمتك، وعاملتني بأحسن ما تعامل به أم بنتها من تعليمي في المدارس، وإحضارك لي أثمن النّفائس، وتربية صحيحة، وحبّ وإخلاص، وهلمّ جرّا من ضروب الكمالات وأنواع الحسنات؛

وما علمتُ لساني كَلَّ عن صفة وما علمتك إلا فوق ما أجدُ

وأرجو الصّفح عن التّقصير، في هذا التّحرير، وإنه وإن لم توفّ بالشكر لك هذه المكاتبة، فهي صادرة من كريمتك على قدر الطّاقة

ووالله ما وفّيت شكرك حقه ولكنّه وُسْعي ومبلغ إمكاني

(شكر لصديق اصطنع لك معروفًا)

صديقي الوفي؛ لا عدمتُ شهامتك، وحفظ الله مروءتك.

سيدي؛ مهما شكرت وأثنيت، ومدحت وأطريت، فلا أستطيع وصف شمائلك الكريمة، وعواطفك الشريفة، ولا عجب من جزيل فضلك، وجميل معروفك؛ فالشّيء من معدنه لايُستغرب، فصنعك المعروف ليس بتصنع، وخلقك الكريم ليس بتخلّق، بل غرائز ثابتة، جبُلت عليها نفسك الأبيَّة، وذاتك الحاتمية، فهكذا تكون المروءة والإنسانيّة، اللتان قد دلّتا على عراقة أصلك، ونزاهة نفسك، وعلوّ شأنك، وغزارة فضلك، فأشكر لحضرتك من صميم فؤادي، على ما أسديته لي من جليل السعي، وجميل المعروف، وإن ذلك قد حقّق لي صدق إخائك، وأكد لي مُروءة حضرتك، فلا زلت أخًا صادقًا عطوفًا، ولا زالت عُرى المحبة بيننا وثيقة، وعلائق المودّة بيننا وطيدة، والسلام.

(شكر لصديق على حسن ولائه وتوثيق وداده)

صديقي الوفي، والأخ الصفّي.

أسعد الله جميع أوقاتك، وأسعدني بمُلاقاتك، وبعد.

فلحضرتك في قلوبنا من المودّة ما يزكيه سناؤك، وفي ألسنتنا من الحمد والشكر ما يوجبه كمالك، وفي صدورنا من الإجلال والاحترام ما يرفعه بهاؤك، وما بيننا من الإخاء لا تحدّه مُدّة، ولا تخلق له جدّة، بل يزداد وثوقًا في العُرى، وإحكامًا في البناء، ونماء في الغراس، وتشييدًا في الدّعائم.

وأسأل الله تعالى أن يكون صديقي في صحة وعافية، وعيشة راضية، وأن يمنّ علينا بتلاق، ما بعده فراق، وتقبّل مني أزكى سلام، يتضوّع منه مسك الختام.

(شكر تلميذ لأستاذه على تقريظه مؤلّفه وهديته)

مولاي الأستاذ، يا حسنة الزمان، وبهجة الإحسان، أحييت نفسي بإحياء كتابي، «ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا»، فأين لكلمات ثنائي أن تبلغ مبلغًا من كمالك، وأين لشكري لك أن يفي بحقّ من حقوقك، فضلاً عن كونك أهديتني هديّة من أعظم الهدايا وعطيّة من أجلّ العطايا، كتاباً نفيساً فُضلت آياته وأحرزت الفصاحة كلماته، وجمعت البلاغة معانيه، وطلع من سماء الأدب بدراً، ملأ العيون نوراً، فتناولته بكل إجلال واحترام، وتقبّلته بكل أدب وإعظام، فلك الشكر من قبلُ ومن بعدُ، ولك الحمد منقوشاً على حبّات قلبي، كما نقشت أحرف كتابي على صحيفة الدّهر، حتى صار شكري لك سجية لا اختيار لي فيه.

لازلتَ مورد الحكمة والأدب، ومصدرَ الفضل والكمال، والسلام.

الباب الثالث

في رسائل الوصف والإخبار

(من تلميذ إلى أبيه يصف له القاهرة ويخبره بدخوله المدرسة)

سيدي ووالدي المحترم، عشت سعيداً، وعمراً مديداً.

بعد تقديمي ما يجب عليّ من احترامك، وإهدائي تحيّة الإخلاص لجنابك، أتشرّف بإبلاغ حضرتك، أني وصلت إلى «القاهرة» التي هي عاصمة القُطر المصري، وأعظم مدينة في قارة إفريقيا، وقد صرفت ثلاثة أيام للتجوّل في شوارعها المنتظمة، وميادينها المتّسعة، وأسواقها المكتظة بالبضائع، ودور الفنون والصنائع، منسّقة المباني الفاخرة، والقصور الشّامخة، تخترق مسالكها مركبات التّرام، فتربطها ربطاً، وتصلها اتصالاً، عدا ما فيها من السيّارات والعربات والدّراجات، وتمتدّ منها الطرق الحديدية إلى سائر البلاد المصرية. وزرت فيها عدة مساجد وكنائس، ودار كتب حوت جميع النفائس، وشاهدت آثاراً قديمة، ومتاحف جميلة، ومدارس كثيرة، وكليات وجامعات، وغير ذلك.

واخترت من بين مدارسها «مدرسة الجمعية الإسلامية»؛ فانتسبت ضمن تلاميذها، ودخلت فرقة السنة الرابعة، فوجدت فيها طلبة على خلق عظيم، تدل هيئتهم على شرف أسرتهم، وجميعهم على جانب كبير من الذكاء والاجتهاد، يواصلون سواد الليل ببياض النهار، وتبغض أعينهم الكرى إلا غراراً أو مضمضة، لا تأخذهم سنة عن التحصيل، فاضطرتني الحال إلى الاقتداء بهم، والتشبّه بمكارم أخلاقهم، والنسج على منوالهم، والدخول معهم في ميدان العمل، حتى إني لم أترك وقت فراغ إلا شغلته، ولا درساً فُرض عليَّ إلا حفظته، حتى وجَّهت أنظار الأساتذة نحوي، وحظيت عندهم بعناية خصوصية، ولقيت من حضراتهم تعطفّات أبويّة، أسأل الله تعالى أن يوفقنا لخدمة البلاد، ويرشدنا إلى سلوك طريق الخير والسداد، والسلام.

(من تلميذ إلى والدته يُخبرها بدخوله مدرسة الجمعية الإسلامية)

سيدتي الوالدة الحنونة، أدام الله بك الأسعاد.

تحية طيّبة من ولدك، وبعد.

فأتشرّف بإخبار حضرتك بأ نه بعد وصولي إلى المدرسة، بقيت مستوحشاً مدة من الزمن، لوجودي بين تلاميذ كثيرة لا أعرف واحداً منهم، ولكن لم يمض عليَّ إلا أيام قليلة، حتى تعرّفت بجملة طلاب، ممن هم أرغب في الدرس، وأكثر احتراماً للأساتذة، وأشدّ تمسكاً بقوانين المدرسة، فأحببتهم محبّة خالصة، وحالفتهم محالفة أكيدة، وعقدنا الهمّة، وأمضينا العزيمة، على الجدّ والاجتهاد، والمثابرة على تحصيل الدروس أولاً بأول، والله هو الموفق، وعليه المعول.

وأما المدرسة فهي مستوفية النظام، مستجمعة للآداب والعلوم واللّغات، وبها معلمون أكفاء، وأساتذة حكماء، لا يعاملوننا إلا بالحلم واللين، خصوصاً حضرة الرئيس المحبوب.

وأما من حيث لوازم الصحّة في هذه المدرسة فهي متوفّرة على غاية ما يرام، بالنسبة لوجود مركزها في قصر النزهة، وسط حديقة متسعة الأنحاء، طلقة الهواء، صافية الماء، ومن وجود أطباء، تطوف علينا في الصباح والمساء، وبداخلها صيدلية تحتوي معظم العقاقير، والأجهزة اللازمة للإسعافات الوقتية، ولهذا أعدّ نفسي سعيداً بهذا الوسط الشريف، لا ينقصني يا والدتي سوى رؤيتك، والسلام على حضرتك.

(جواب الأم عن الخطاب السابق)

ولدي وغاية قصدي، نجّح الله لك المقصود.

بيد المسرة تلقيت كتابك الرقيق العبارة، البليغ الإشارة، فحمدت الله تعالى على سلامتك، وكمال صحتك، وبعد.

فقد سررت بالتفاصيل التي بعثت بها عن مدرستك، خصوصاً انتخابك خير التلاميذ أصحاباً لك، مما يدلني على صلاحك وجدّك، وحسن قصدك، وأنك ستصير رجلاً تفتخر بك الأوطان، وتعتمد عليك في الأمور ذات الشأن، وتقرّ بك عين والديك، وقد زادني سروراً عطف حضرات المعلمين عليك، ومعاملتهم لك ولزملائك بالحلم واللين في موضعهما، لتكون التربية مؤسسة على الحرية والشجاعة، فتحوز على أيديهم الدرجة الرفيعة؛ فَدُمْ يا ولدي على تلك الحال، يبتسم لك الحال والاستقبال، وأسأله تعالى أن يديم عليك حُلّة العافية، ويرزقك

حسن الثّبات، ويبلغك مقصودك في أقرب الأوقات، ويحفظك لجميع الإخوان والأخوات، والسلام.

(من والد إلى ولده يخبره بقرب الامتحان)

ولدي المحبوب، سرّني الله بنجاحك، وقرّ عيني بفلاحك، سلامي عليك، وشوقي إليك، وبعد.

فمن نعم الله عليّ، ودلائل رضاه عني، أ ن أرى لي ولداً أعزّه الله، ورفع قدره، وأعلى شأنه، وجعله مثالاً حسناً لإخوانه، وشمساً مشرقة لأقرانه، وقرّة عين لوالديه، وعنواناً شريفاً لمؤدّبيه ، وإني لأرجو أن يكون ذلك الولد أنت، حتى تطيب نفسي، ويطمئن قلبي، ولن تبلغ ذلك يا ولدي إلّا بتجمّلك بالآداب الكاملة، وتخلّقك بالأخلاق الفاضلة، وتزيّنك بالعلوم والمعارف، ونجاحك في الامتحان الذي أنت على أبوابه، وعما قريب تلتئم جماعاته، فأعدّ له معدّاته، من قوة ونشاط، وصبر وثبات، وإياك من التّسرع في الإجابة، قبل أن تتثبَّت من السؤال، فتزل بك القدم، ولا ينفعك الندم، وحذار من الاعتماد على غيرك، وعدم النظام في عملك، ورداءة الخطّ في إجابتك، حتى لا يمل المصحّح من كتابتك، ولا يسأم من صحيفتك، تولّى الله رعايتك، وسرّني عن قريب نجاحك، وما ذلك على الله بعزيز، والسلام.

(جواب الولد إلى والده واصفاً له الامتحان)

سلّمك الله وحيّاك، وأسعدني برؤية محيّاك، وزاد عزّك وعلياك، وحرس دينك ودنياك، ولا حرمني دوام لقياك، وبعد.

فأتشرّف بأنه وصلني كتابك الكريم، تخبرني فيه بقرب الامتحان، وتنصحني بأن أعدّ له العدّة، وأتخذ له الأهبة، وفعلاً أخذت في الاستعداد، مشمراً عن ساعد الاجتهاد، معتمداً على نفسي في تحصيل درسي، حتى جاء اليوم المحدود، فانتبهت من نومي مبكراً، وذهبت إلى مكان الامتحان مهرولاً، فإذا هو سرادق فخم، كأنه جبل ضخم، قد صفت فيه الكراسي صفاً، ورتبت المناضد ترتيباً، وأحكم وضعها إحكاماً، فهالني المنظر، وانتابتني الوساوس، وتمكّن مني الذهول وأخذ مأخذه، ولكن لم ألبث على هذا الحال، حتى أذهب الله عني أوهام الشيطان، ولما جاءت الساعة المحدودة، ودقت الأجراس وازدحم الناس، ونادى المنادي بالنظام، ثم أمرنا بالدخول في الخيام، واتخذنا مقاعدنا، وجلسنا مجالسنا، ثم طاف علينا المراقبون، ووزّع علينا الأوراق الممتحنون، وأمرونا بكتابة البيان، فوق ورقة الامتحان، وبعد ذلك ألقيت الأسئلة، فاضطربت الأفئدة واشتدت المراقبة، وعظمت المحاسبة، وظهر البِشر على وجوه وعمّ الحزن أخرى، وكنت لا تسمع غير صرير الأقلام، وقعقعة الأوراق، ولا ترى إلا رؤوساً منحنية، وأيدي متحركة، وجعل كل منا يفرغ ما في كنانته، ويخرج ما في جعبته، فمنا المخطئ ومنا المصيب، وقد كنت ممن جمّل الطروس، وزيّن السطور، بقلم من نور، فحزت غاية الرّهان، في هذا الميدان، وفزت فيه بالحظ الأوفر، والنصيب الأكبر، والحمد لله قد حقّقت آمالك، وأنفذت رغائبك، بفضل إطاعتي لأوامرك، واتبّاعي لنصائحك، ويعجز لساني عن أن يشكر لك، وأسأله تعالى أن يتولّى أجرك، ويحفظ عليك نعمك، ويرزقك الصحة التامة، والعافية الكاملة، بمنه وكرمه، والسلام عليكم ورحمة الله.

(من صديق إلى صديق طال غيابه ولم يخبر عن حاله)

صديقي الصفي، وأخي الوفي، لا أحرمني الله من رؤيتك، أهديك تحية الإخلاص، وبعد.

فمن لي بك وبأيامنا الباهية، وليالينا الزّاهية؛

وكنا كزوج من قطاً في مفازة لدى خفض عيشٍ ناعمٍ مؤنقٍ رَغَدِ
فأفردني ريب الزمان بصرفه ولم أر شيئاً قط أوحش من فرد

آه يا أخي؛ لقد أصبحت أسأل النسيم، عن جنابك الكريم، لعله يحييني بلطفه، وينعشني بطيب عرفه... وهيهات أن يطمئن الخاطر، وتقرّ النواظر، بغير لطيف شمائلك، وبديع رسائلك.

آه؛ طال الانتظار، واشتعل بقلبي النار، من طول هذا الغياب، وانقطاع الخطاب، حتى بعُدَ بيننا العهد، وبرّح الوجد ولا أدري أصرت إلى نعيم، ومقام كريم، ورياض وجنان، وأنس وإخوان، أم إلى وحشة وملال، وسآمة وكلال، تتقاذفك الأسفار وتنوء بك الأوطار؟

فبحقي عليك، هلّا أخبرتني عن حالتك الحاضرة، عساني أن أطمئن عليك، وأتعرّف إليك؛ لازلت أنس الوجود، لصديقك الودود، والسلام.

(من أخ إلى أخيه يصف له ليلة زفاف ابن عمه)

حضرة الأخ المحترم، سرّ الله خاطرك.

بعد سعود الأوقات، وتقديم عاطر التسليمات، أصف لك ليلة كشفت عن بدرها النقاب، وأخذ حسنها بالألباب، قد سطع نورها، وتكامل سرورها،

وتمّ بهاؤها، وطاب صفاؤها، وعمّ هناؤها، وملأت الأفئدة فرحاً، وأ زالت عن القلوب ترحاً؛ فهي حلية الدهر ولا فخر، وزينة الليالي بلا نكر، شاهدت فيها إخوان الصفاء، وأهل الودّ والوفاء، وكرام الأحباب، وخيار الأصحاب، فضلاً عن تنسيق زينتها الجميلة، وجمال أعلامها المنشورة، وثريّاتها المنثورة ، وسرادقها الفخم، كأنه جبل ضخم، تتألّق في وسطه الكهرباء بديعة الصّنع، جميلة الإتقان.

وأرضه مفروشة بالبسط المختلفة الأشكال، الجميلة الألوان وفوقها الكراسي، قد صفّت صفاً بديع النظام، ووضعت وضعاً جميلاً يسر الناظرين، حتى إذا ما جاءت الساعة الثامنة، دعينا إلى الطعام، فأكلنا هنيئاً مريئاً، وشربنا في هناء وصفاء، ثمّ خرجنا لسما ع القرّاء، ومن بعدهم أطربنا المغني برقيق صوته وحسن الغناء، فأمسينا في فرح وسرور، وهناء وحبور، حتى مطلع الفجر.

(من والد إلى ولده يشكر له اجتهاده ويخبره بالامتحان)

كتابي إليك، ينبئك عن رضائي عنك، ويصف لك ما شملني من السرور، وملأ فؤادي بالحبور، حينما بلغني بشرى تقدمك، على تلاميذ فصلك، وثناء المدرسين على حسن سلوكك وفضلك، فالحمد لله قد حقّقت أملي فيك، وأوجبت شكري لحضرة ناظرك ومعلميك، وأُلفت نظرك يا ولدي إلى قرب الامتحان، الذي يكرم فيه التلميذ أو يهان، وأوصيك بالتحصيل مستسهلاً كل صعب، مستصغراً كل خطب، ليثبت قدمك، وينطق قلمك، في يوم تنخفض فيه رؤوس الأغبياء، وترتفع فيه هامات الأذكياء، وتجزى كل نفس بما كسبت، وتكافأ بما عملت، إن خيراً فلها الهناء، وإن شراً فلها العناء، يوم لا ينفع المرء إلا ما جمع

ووعى، «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى».

فوحقك مادمت مثابراً على اجتهادك، ومتمسّكاً بحسن سلوكك ومكارم أخلاقك، لأكافئنك مكافأة ترضاها، وأوفينك من المعالي أعلاها وأغلاها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، والسلام.

(من صديق إلى آخر يصف له جو يوم عبوس)

حضرة صديقي المحترم،

لك تحيتي وعليك سلام، وبعد.

فما جاءت الساعة العاشرة من صبيحة يوم الأحد الماضي إلا والشمس توارت بالحجاب، وتلبّدت السماء بالغيوم والسحاب، واكفهرّ وجه الجو وأظلم، واختلفت مهاب الرياح، واشتدت عواصفها، حتى اقتلعت الأشجار، وخرّبت كثيراً من الديّار، وفي هذه الحالة يرى الإنسان الفضاء، بين الأرض والسماء، يشبه كتلة رمال صفراء، لونها يحزن الأنظار، ويعمي الأبصار، ويقبض القلوب، ويزهق النفوس، ولم يقف الأمر عند هذا الانقلاب المخيف، بل حمي هواء ذلك الجو السخيف، وأخذت الرياح تمطرنا رمالاً تخترق نوافذ الحجرات إلى منافذ الصدور، حتى ضاقت نفوسنا، وتقطعت أنفاسنا، وتصعّدت زفراتنا، وبلغت الروح الحلقوم، تناجي الحيّ القيوم، فعمّت السآمة والملل، وعظم الخطب الجلل، ولبثنا نتوقع تغيُّراً من حال إلى حال، متضرّعين إلى ذي العزّة والجلال، حتى حان وقت الغروب وأخذت الرياح تسكن، والغيوم تنقشع، والجو يصفو، والنفوس تهدأ، إلى أن رجع الجو كالمبدأ، والسلام.

(من تلميذة تصف إلى والدتها آداب أخواتها بمدرسة التعليم المنزلي)

سيدتي الوالدة، أدام الله حياتك، وسرّني ببقائك.

أهديك تحية الإخلاص، وأسديك خالص الثناء، وأبتهل إلى الله تعالى بالدعاء، بأن يطيل لحضرتك البقاء، آمين، وبعد.

فأشكر لسيدي الوالد الذي تفضل عليّ بإدخالي في مدرسة «التعليم المنزلي» التي راقني نظامها، وسرّني حسن ترتيبها، وأعجبني أخلاق معلّماتها، وآداب بناتها.

تلك الفتيات اللاتي تقرّ بهن العيون، وتسرّ بكلامهن النفوس، لا يمكن للعين أن تميل عن النظر إليهن، رغبة فيما هن عليه من الهشاشة، وما يعلو وجوههن من البشاشة، لا يسأم الإنسان من مجالستهن؛ فمن أدب زاهر، إلى جمال باهر، ولا يمل أحد من حديثهن؛ فمن حديث يأخذ بمجامع القلوب، إلى رقة طبع تستميل القلب النفور، لهن نظام جميل، وحسن ترتيب في أعمالهن، ومهارة فائقة في أشغالهن، ولهن قلوب ملؤها الطهارة، ونفوس خالية من شوائب المفاسد، سليمة نقيّة، كالثلج الناصع في بياضه، أو الزجاج الشفاف في صفائه، هؤلاء هن الفتيات اللائي سيصرن يوماً أمهات.

هؤلاء هن الفتيات، الصغيرات الطاهرات، يتكلمن ويتداعبن، ويلعبن ويمرحن، في حديقة المدرسة، كأنهن الملائكة المطهّرة، لا يعرفن شيئاً من آلام الحياة، فلذلك يمضي عليّ يومي، وأنا فرحة مسرورة لا يعتريني ضجر ولا ملل، ولا ينالني تعب ولا كسل، في عيشة راضية، ومدرسة راقية، والسلام.

(من فتاة إلى أهلها بعد وصولها إلى المدرسة)

والدتي الحبيبة وأمّي الحنونة، عشت سعيدة؛

سلامي واحترامي، لمقامك السامي، وبعد.

فقد فارقتك البارحة، بقلب فارقه الصبر، واستولى عليه الكدر، ولكن قلبي لم يغب عنك بغيابي؛ فإنك لم تزالي حديثي ووجهة أفكاري.

أماه.. ما كدت أصل إلى المدرسة، حتى ضاق صدري وضلّ فكري، وأظلمت الدنيا في عيني، وخيّل لي أنه لا اجتماع بعد هذا الانقطاع، ومضت سويعات الحظ والهناء، وولّت أويقات السرور والصفاء، ولن أعود للاتناس بمشاهدتك، والتلذّذ بمحادثتك، وبدا على وجهي القلق، ولازم عيني الأرق، وقد لبثت على هذا الحال يوماً أو بعض يوم، حتى فطن لحالتي المعلمات فأخذن يلاطفنني برقيق الكلام، ويخففن عني هذه الأوهام وأضغاث الأحلام.

ويزودنني بالنصائح والوصايا، ويفهمنني فوائد العلوم والآداب ومالهما من المزايا، ويعرفنني أن الفتاة لا تكمل تربيتها بدونهما، فتذكرت أنه ما كان ينبغي أن تراني والدتي إلا ابنة كاملة، متربية في المدارس متعلمة، فكان لي في هذا وذاك جميل العزاء والسلوان، ونهضت بي همتي من وهدة اليأس والقنوط، وانشرح صدري بعد هذا الانقباض، ونزلت في ميدان التعليم والتهذيب، فذقت لذة عظيمة، وشعرت بارتياح، وأحسست من نفسي بنجاح، يبشرني بمستقبل جميل، لأرجع إليك بقدر جليل، وأكون جديرة بلقائك، أمد الله في بقائك، والسلام.

(جواب الأم عن الخطاب السابق)

بنيّتي الحبيبة؛ لاعدمتك، وسدّد الله رأيك.

أهدي إليك سلاماً وتحية، مصحوبة بأشواق قلبية، وبعد... فأرسل إليك كتابي هذا على جناح المحبة والإخلاص، ولو كنت أقدر أن أودعه قلبي، إذاً ما كنت لأتأخر، لأني أصبحت في شاغل عظيم لبعدك، وقد أخذت اليوم كتابك

الكريم، بفرح عظيم، وقرأته بسرور لا يوصف، وبه اطمأن قلبي بعض الاطمئنان؛ فإن فراقك كان حوّل فرحي ترحاً، وبدّل هنائي عناء.

بنيتي ما كدت أصل إلى قولك في مكتوبك «ونزلت في ميدان التعليم والتهذيب، فذقت لذّة عظيمة وشعرت بارتياح، وأحسست من نفسي بنجاح يبشّرني بمستقبل جميل، لأرجع إليك بقدر جليل»، حتى سجدت لله شكراً ودعوت لك أن يديم عليك حلة العافية، ويرزقك حسن الثبات، ويبلغك مقصودك في أقرب الأوقات، ويحفظك لإخوتك والأخوات، ولوالدتك الحبيبة.. والسلام.

(من أخ إلى أخيه يصف له المدرسة التي اختارها لتعليمه)

أخي المحترم... لازلت مورد الفضل، ومصدر الكمال، سلام عليك، سلام يليق بقدرك الرفيع، ومقامك الجليل، وبعد.

فقد وصلت أول أمس مدينة القاهرة، وأمضيت يوماً في زيارة مدارسها حتى وفقني الله تعالى إلى مدرسة (الجمعية الإسلامية)، فانشرح صدري للانتساب إليها، وقد قدمت طلبي إلى إدارتها، وانتظمت ضمن تلاميذها،

واستلمت كتبي وأدواتي من مكتبتها، وأخذت في تحصيل دروسها، مع ابتهاجي بحسن نظامها، وأغرب ما رأيته فيها، هو حسن سير طلبتها؛ فإنهم قلما يهملون درساً، أو يخالفون أمراً، ويتعدون نهياً، مع أنهم لا يضربون ولا يشتمون، والسرّ في ذلك هو أن كل تلميذ يتسابق في إحراز درجات أسبوعية، نهايتها خمسون (توزّع على حسن سلوكه واجتهاد) فمن نال هذه النهاية، أو ناهزها ابيض وجهه، وأثني عليه جهاراً بحضور المعلمين والمتعلمين، وإن نقص عنها قليلاً يغضّ عنه النظر مرّة أو مرتين، وبعدهما يعزّر برفق حتى يحسن حاله ويقوم أوده، وإن نقص عنها كثيراً بأن لم ينل منها الثلاثين فيكلف بتأدية واجبات عقاباً له، وعبرة لغيره.

وإن أتى تلميذ في أثناء الدرس بما يخلّ بالنظام فتارة يوبّخه المدرس، وطوراً يعاقبه عقاباً أدبياً.

وإن تعدّى تلميذ حدود الأدب، (وهذا نادر)، فيبعد عن الفرقة، ويحرم من الدرس حتى يرضى أستاذه، ويعترف بخطئه أمام إخوانه، وإن امتنع عن الإقرار بما صدر منه، يطرد من المدرسة نهائياً، خوفاً من أن يعدى زملاءه، وإني لأنتهز هذه الفرصة لأبدي مزيد سروري بتلك المدرسة وما شاهدته من صفوة أساتذة، قد كملت مروءتهم، وظهرت عدالتهم، وطابت سريرتهم وحمدت سيرتهم، فأَنْعِمْ بهم وأَكْرِم، بيّنو لنا طريق الهدى، وأنقذوا أرواحنا من ظلمة الجهل والرّدى، ودلّوها على نور العلم ومكارم الأخلاق، كما أني أمتدح حضرات زملائي الأذكياء وإخوان الصفاء، الذين أنعم الله عليهم بالفضيلة، وحسن المعاشرة وحب التضامن، وتفانيهم في خدمة الوطن العزيز، وأصبحت، والحمد لله، لا ينقصني يا أخي شيء سوى عدم وجودك معي في هذا المعهد الجليل، لأجتلي أنوار طلعتك، وأجتني ثمار مودتك؛ أسأله تعالى أن يقرب اجتماعنا لرؤيتك، والسلام.

(من تلميذ إلى والدته يصف لها الأهرام وأبا الهول)

والدتي العزيزة، دمت مصونة، وعشت سعيدة؛

تحية طيبة من ابنك، الشاكر لفضلك، الخاضع لأمرك، وبعد.

فقد قامت فرقة كشافة مدرستنا يوم الخميس بتمام معدّاتها وكمال أنظمتها، تتقدمها موسيقاتها، قاصدة الأهرام، ولما وصلنا إليها نصبنا خيامنا حواليها ثم ولّيت وجهي نحوها فإذا هي معجزة من معجزات الدهر، وآية من آياته، تدل على قدرة السابقين وقوة الماضين، ومهارة الغابرين؛ بناء ضخم جسيم، من أعظم الحجارة والصخور، التي قد ركّبت تركيباً هائلاً بديع الإلصاق مربّع القاعدة، مخروط الشكل، تحيط به مثلّثات أربعة، أضلاعها متساوية، وأطرافها محدّدة، حتى تنتهي بنقطة واحدة، يمكن الصعود إليها مع الجهد والمشقة، وهي مع هذا العظم من إحكام الصنعة، وإتقان الوضع، لم تتأثر بهبوب الرياح، وهطل الأمطار وزعزعة الزلازل، وكانت الأهرام بمصر كثيرة بين الفيوم والجيزة، فنقض الملوك بعضها، ومالم يقدروا على نقضه تركوه، فمن ذلك الهرمان العظيمان بالجيزة؛ تتابع الملوك عليهما، فلم يستطيعوا عمل شيء فيهما؛

بناء يخاف الدهر منه وكلّ ما على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر

ولهذا وُجِد مكتوباً عليهما: «إني بنيتهما، فمن يدّعي قوة في ملكه فليهدمهما، فإن الهدم أيسر من البناء»، وقال بعضهم: ليس من شيء إلا وأنا أرحمه من الدهر إلا الهرمين، إني أرحم الدهر منهما! وأنشد:

بعيشك هل أبصرت أحسن منظراً على طول ما أبصرت من هرمي مصر
أطافا بأعنان السماء وأشرفا على الجوِّ إشراف السِّماك أو النسر

وقد رأيت على مقربة من الهرمين صورة هائلة؛ هي صخرة عظيمة، رأسها رأس إنسان، وجسمها جسم سبع، وهذا رمز العقل والقوة، وتسمّى بـ«أبي الهول».

وبالجملة فلا شيء أغرب ولا أعجب بعد مقدورات الله سبحانه وتعالى ومصنوعاته، من القدرة على بناء الأثارات التي شاهدت لها وضعاً عجيباً، ومنظراً غريباً، وشكلاً مريعاً، ولله في خلقه شؤون، والسلام.

(من ولد إلى والده يخبره بنفاد نقوده)

سيدي الوالد الأكرم، ومولاي الأعظم.

بعد تقديم واجب الاحترام، المشفوع بأزكى السلام، المقرون بالابتهال، إلى ذي الجلال والإكرام، أن يديم ذاتكم ويعلي قدركم، ممتّعين بالصحّة والصفاء، والسرور والهناء.

أتشرّف بأني إن طلبت اليوم شيئاً فإنما هو تذكير لجميل برّك، والتماس لمزيد كرمك، وإن صنع معروفك معي، قد عوّدني أن ألجأ إليك في جميع أموري، وأعتمد عليك في كافة شؤوني؛ فما الولد إلا سرّ أبيه، وأعزّ محبيه، وإني أرى نفسي اليوم، في حاجة إلى نقود، لشراء الأشياء الضرورية، ودفع المصاريف المدرسية.

فأرجو من مراحم والدي الكريم، أن يرسل إلي، لدى أول فرصة، ما تسمح به نفسه من مال أتمكن به على مزاولة أعمالي والمحافظة على تأدية أشغالي، وكرامة نفسي بين إخواني، وبذلك يزداد شكري لفضلك، وتتضاعف محبّتي لك، دمت لولدك.

(ردّ الخطاب السابق)

ولدي، ومهجة كبدي

أهدي إليك أزكى تحيّة، مع وافر أشواق قلبية، وبعد.

فقد وصل إلي مكتوبك، وقرأته بدقّة، وفهمت فحواه، وسررت كثيراً مما حواه، وقد حوّلت بأول بريد يصل إليك مبلغ ألف قرش، لشراء ما يلزمك منها، ولدفع المصاريف المدرسية، وعليك إذاً بالاجتهاد، لأن من اجتهد ساد، واجعل اهتمامك في جميع دروسك، وأصغ إلى ما يلقيه عليك حضرات المدرسين، وسر مع إخوانك بالمحبة لتكون من الناجحين، والحذر من مصاحبة الأشرار، وعليك بمجالسة الأخيار، وإن شاء الله أسمع عنك ما يسرّ خاطري، ويقرّ به ناظري، دمت لوالدك.

الباب الرابع

في رسائل الوداد والتّعارف قبل اللّقاء

(من محب يخطب ودّ آخر)

حضرة من عُرف بالفضل والكمال.

أهدي إليك أزكى سلام، مشفوع بأجل احترام، وبعد.

فهل لسيدي، أقرّ الله به عين الفضل، وجمع به الشّمل، أن يمدّ يده الكريمة لمصافحة خطيب ودّه، وطالب إخائه، المشغوف بما منحك الله من مكارم الأخلاق، التي تعطّرت بذكرها الآفاق، وتغزّلت بمحاسنها عشّاق المناقب الجميلة، ومن كانت هذه خلاله وتلك سجاياه، وجب على ذوي الفضل اتخاذه إماماً يقتدون به ويستضيئون بنوره، وكان حقّاً عليهم أن يخلصوا له الإخاء، وأن يصدقوا في ودّه وحبّه، فإذا تكرّم سيدي بجواب القبول، كما هو المأمول، قابلت فضله بالشكر، وإلا فألتمس لحضرته العذر، وأرجو له دوام العزّ والإقبال، في كل حال، وأسأله أن يوفقه لصالح الأعمال، في هناء وسرور، وصفاء وحبور، والسلام.

(ردّ الخطاب السابق)

سيدي الودود، وجّه الله له السّعود

بكل احترام وسلام، وإكرام وإعظام، أشكر لك حسن ظنك بأخيك، وقد تشرفت بكتابك فصافحته براحة القبول، وأنا المغبوط بإخائك، السعيد بودّك وولائك، الناطق بحمدك وثنائك.

إذا صدق الوداد فكلّ لفظ تخاطب من تودّ به مليح

فَلِلَّهِ أنت من فاضل نظرني في مرآته، فنعتني بأوصاف ذاته وجعلني أسير فضله، وعبد إحسانه وكرمه، وها أنا ذا أمحضك خالص الوداد، وأسلمك زمام الصحبة والإخاء، وستجدني كما تحب، وستراني كما تريد، إن شاء الله تعالى والسلام.

(من صديق إلى آخر يطلب معرفته ووداده)

حضرة الأخ الفاضل

أكتب إليك كتابي هذا لأتشرف برؤية ذاتك الشريفة، ومشاهدة شخصك الكريم، لما سمعته من حسن ذكرك، وجميل خلقك، وعلوّ أدبك، وأظن أنك شاعر بمافي قلبي من الميل نحوك، والتشوّق إلى مؤازرتك، والاستعداد لمشاطرتك؛ وما قصدت مؤاخاتك إلا لأشرف على أهل وطني، وأتيه فخراً على زمني، الذي آلى على نفسه ألا يذيقني ساعة الراحة والهناء، حتى أسعد بمعرفتك، ولا يريني صفواً، حتى أتقرّب إلى حضرتك، ولا تظن أيها السّيد أنك إن آخيت لا تؤاخي إلا من هو مثلك، ولا تؤازر إلّا من أصله كأصلك، فإنك- حفظك الله- تظلّ فريداً؛

إذ لا يوجد من يشاركك في صفاتك، ومع ذلك فها أنا ذا بين يديك والأمر منك وإليك، وسلامي عليك.

(من محب إلى آخر يرغب في التّعارف به والتودّد إليه)

إلى من حسنت سريرته، وحمدت سيرته، أدام الله وجوده.

أتشرف بأني أبتدئك بالمكاتبة، راغباً منك حسن المصاحبة، مريداً أن أكون من إخوانك، محباً أن أرى نفسي معدوداً من أصحابك، لأني قد سمعت عنك حديثاً؛ كله ثناء عليك، وحمد لك على جميل أعمالك، وشكرٌ لك على مكارم أخلاقك، وعلمت عنك حسن الذكر، وكمال السير، وطهارة القلب، وعلو النفس، وعرفت أنك من أكرم الشبّان حسباً ونسباً، ومن أحسنهم علماً وأدباً، تنتهي إليك المكارم، وتصدر عنك الفضائل، وأكون سعيداً إذا تنازلت بقبول الإخاء، وقرب اللقاء، حتى تشهد عيني ما سمعت به أذني.

فإن رأيت، ولا إخالك إلا مجيباً، أن تقبل إخاءنا، أجبتنا بمثل ما كتبناه، لنعلم أن حضرتك قد رضيت عمّا أبديناه، فيطمئن قلبنا، ويسكن جأشنا، والسلام.

(ردّ الخطاب السابق)

حضرة الأخ الصفي، والصديق الوفي

سلام واحترام، وبعد.

فقد تشرّفت بكتابك الذي خطبت به ودادي، ورغبت فيه إخائي،

فلك الشكر والثّناء، على حسن ظنك بأخيك، الذي يتشرف بالنسبة إليك، ويعتمد في الصحبة عليك، وإني وإن لم أكن أُسعدت من قبل باجتلاء طلعتك، ومشاهدة رؤيتك، فقد دلّني على اللّيث زئيره، وعلى البحر خريره، وعما قريب يسفر صبح اللقاء، وينجز حُرُّ ما وعد؛ وفقك الله لصالح الأمور، في هناء وسرور، وأدام لك السعادة، ورزقك الحسنى وزيادة، والسلام.

(من تلميذ يطلب صداقة زميل له يسمع عنه ولم يره)

عزيزي المحترم.

عليك سلامي العاطر، ولك في قلبي شوق وافر، وبعد.

فلما سرى إليّ أرج النسيم بأخلاقك الغراء، وابتسم لي ثغر المنى عن آثارك الزّهراء، كتبت لك وأنا سار في ليل التعارف، على ضياء خلالك التي أملاها عليّ لسان المدح، ودلّ عليها أثر الفضل؛ فإن رأى أخي أن يجعلني في عداد معارفه، كما اشتهر من فضله ولطائفه، كنت مديم الشكر لأفضاله، ناطقاً بالثناء على كماله، وإن شاء الله تعالى أحظى بردّ القبول، كما هو المأمول، والسلام.

(من صديق إلى آخر في طلب المؤاخاة)

إلى السيد المحترم، حفظه الله، وأدامه وأبقاه.

عزيزي؛ طالما سمعت بذكرك الذي عم الكون أرج نسيمه، فوجدت لذلك قبولاً في نفسي، لا أستطيع التعبير عنه، وكنت كثيراً ما أصبّر نفسي

عن مكاتبتك، لئلا يكون فيها هجوم على مقام سيدي حفظه الله، حتى استفزني الشوق إلى طلب مؤاخاتكم، فكتبت هذا الكتاب، ومالي ذنب فيه إلا لطافة خلقكم، التي جعلتني أجسر على قرب التعارف، وكأن القلم لم يكن في صحوه حين سطّره؛ إذ طلب شيئاً أعلى من مقامه، وأرفع من قدره، ولكنه معذور لما يقاسيه من ألم الشوق، وشدّة الحنو، مع ما يشاهده فيكم من اللطف، وحميد الخصال التي تضطر الإنسان إلى التوسل للتعرّف بكم، والتشرف بحسن الإخاء، وإن شاء الله تعالى أحظى منكم بالوفاء، والسلام.

(ردّ الخطاب السابق)

سيدي، أدام الله علاك، وحفظك وأبقاك.

الآن علمت شعور القلوب؛ فإن ما رأيته أنت، إنما هو سمري في ليلي، وقصدي من حياتي، ولطالما استنهضني حب التعارف والتّودد إلى حضرتك، ولم يمنعني عنه إلا ما كنت أخشاه من عدم ارتياحك لصحبتي، فتضطرك شمائلك الحسنى إلى قبول المخاطبة، على غير رضى منك، وذلك مما لا أرضاه لغيرك، فضلا عنك، والسلام.

(من محبّ إلى آخر يطلب وداده)

حضرة الفاضل

أهديك تحية الإخلاص، وبعد.

فأنت تعلم أن المرء أسير لما فيه شرفه، وعبد خاضع لما به تمام فخره

ومجده، وإني لا أرى شرفاً أعظم لي من شرفي بمعرفتكم، ولا أجد أتم فخراً من إظهار ودّي لكم، ولقد أثار عواطفي نحوكم ما شاهدته من كرم سجاياكم وعرفته من حسن نواياكم، وما رأيت مجداً عريقاً إلا وقد حزتموه ولا أسمع بسربال عزّ إلا وقد تسربلتموه، ولا يُتَحَدَّث بكريم فعال وإلا وأنتم خير أهلها، ولا يوصف بنباهة إلا وأجدكم تاج فخرها، وما سألت عنك أحداً إلا ويقول «إليه تنتهي المكارم وعنه تصدر الفضائل، ومنه تنال الآداب»، فرأيت أن أتعرف بك، وإن لم أر حضرتك، ولكن الأذن تعرف ما لا يعرف البصر، فوددت أن أكون من إخوانك، وأحببت أن يكتب اسمي في سجل أصحابك، ولي الشرف كل الشرف في ذلك، وستراني إن شاء الله مؤتماً بآدابك، مقتدياً بأخلاقك، وستجدني عند ظنك، وطوع رأيك، لأن ظنك يقين، ورأيك سديد، أدام الله بك الخير، وأنالك ما تبتغي، ممتعاً بكمال العافية، وتمام الصحة، والسلام.

(من خاطب صداقة آخر عُرف بالحكمة)

سيدي ومولاي.

لقد سمعنا بأوصاف لكم كملت ... فسرّنا ما سمعناه وأحيانا
من قبل رؤيتكم نلنا محبّتكم ... والأذن تعشق قبل العين أحيانا

لقد بلغني عنك في وفائك وفضلك ما يدعوني لخطب ودّك، ويرغّبني في إخائك، ويحبّبني في التوسل إلى معرفة جنابك، وإن لم تجمعنا جامعة شخصية، ولم تضمنّا حفلة تعارف ذاتية، إلا أن أحاديث فضائلك الصّحاح، أوفدت عليك الأرواح قبل الأشباح، والولاء والإخلاص، قبل الأجسام والأشخاص، ولا غرابة في ذلك؛ فإن من سنة الله في خلقه، أن يؤلّف بين الأرواح وأمثالها، وإن لله ملائكة يسوقون الأشكال إلى

أشكالها، وشبه الشيء منجذب إليه، وأخو الفضائل هو المعوّل عليه؛

إن القلـوب لأجنـاد مُجنّـدة للـه فـي الأرض بالأهـواء تعتـرف
فمـا تعـارف منهـا فهـو مؤتلـفٌ ومـا تناكـر منهـا فهـو مختلـف

فلذا اصطفيتك لنفسي، واخترتك لمودّتي وأُنسي، فنتناجى بالضّمائر، ونتخاطب بالسّرائر، وإن بعدنا في الظاهر؛ فرب غائب ينفسه حاضر بخلوص نفسه.

فـإن أبيـت ودادي غيـر مكتـرث فعنـك مـا دمـت حيـاً لا أرى بـدلاً

وحاشاك عن مثل هذا الإباء، والهجر والجفاء؛

لـكلّ امرئ شـكل من النـاس مثله وكل امرئ يهوى إلى من يشـاكله

ناشدتك الله أن تقبل منّي الإخاء، وتضمن لي الوفاء، وأنا أرضى بك من الدنيا نصيباً، وأختارك من بين العالمين حبيباً، والسلام .

(من محبّ التودّد إلى أديب سمع عنه ولم يره)

سيدي الفاضل، أدام الله إجلاله، وزاد كماله؛

سلام مشوق قد براه التّشوقُ

على جيرة الحيّ الذين تفرّقوا

وإني امرؤ أحببتكم لمكارم

سمعت بها والأذن كالعين تعشق

التّطفّل، «حرسك الله»، في عرف العامة خصلة الامتهان والابتذال، وفي تصرّف الخاصة كنز الوصلة والاتصال؛ فهو في الأولى محظور إذا تعدّى مواطنه، وفي الثانية مباح لو لزم أماكنه، وإني لمؤثر التّطفل على مائدة مكارم سيدي، ومقدّمٌ التّوسّل إلى خطب وداده بهذه المكاتبة، على غير سابقة معرفة؛ لأن ضالّة الفضل تنشد في الغدو والرواح، وليس على عاشق ذويها من جناح، وإني أتحيّن الفرص، لأجتلي محيّاه، وأحظى بشرف لقياه، إذا تنازل بإرسال صك القبول، كما هو المأمول، والسلام.

الباب الخامس

في رسائل الشوق

(من صديق يتشوّق إلى صديقه البعيد عنه)

سلام حكى في الحسن دُرّاً وجوهرا تفوح به الأكوان مسكا وعنبرا
أُحَيّي به ذاك المُحيّا وإنما أُحَيّي به وجهاً من النور صوّرا

كتابي لديك، يصف شوقي إليك؛ فمذ فارقتني فرّقت بين أنسي ونفسي، بل بين روحي وجسمي، ولا تعجب إذا كنت أغدو وأروح؛ فالطير يمشي من الألم وهو مذبوح، وإني أشكو إليك من ألم الوحشة غراماً لا يشعر به إلا من ذاق حلو أنسك، وعرف مقدار نفسك، وشاهد جمال لطفك، ورأى كمال أدبك وظرفك، ولقد أودع الله في شخصك نوراً لعيني، وفي حديثك سروراً لفؤادي، وفي صفاتك ترويحاً لروحي، وفي كرم خلقك تفريجاً لنفسي؛

إذا وصف الناس أشواقهم فشوقي لوجهك لا يوصف

فعندي لك من المحبّة والشّوق، والتّلهّف والتوق، ما لا يصفه الواصفون، ولا يعبر عن حقيقته العارفون؛

الشّوق فوق الذي أشكو إليك وهل تخفى عليك صباباتي وأشواقي

فياشوقي إلى لقياك، ووا لهفي على جمال محيّاك، قيّدت أملي عن سواك، وبهرت ناظري بنظرة سناك، وكسرت جيش قراري وتركتني لا أفرّق بين ليلي ونهاري؛

فؤادي والهوى سلم وحرب وسلواني أقام على الحيادة
وشوقي كامل ما فيه نقص فلست عليه أطمع في الزيادة

فليت شعري ماذا أصنع في شوق، أنا مدفوع إليه من صادق حبي بعوامل صادفت مني قلباً خالياً، فتمكّنت بالتّعارف ولم تدع للسلوان سبيلا؛

عرفت هواه قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكنا

إي وربي؛ إن شوقي إليك شوق الظمآن إلى برد الشراب، وحنيني لك حنين الشيخ إلى زمن الشباب؛ فما الإبل وقد حنّت إلى أعطانها، والغرباء وقد أنّت إلى أوطانها بأعظم منّي حنينا، ولا أكثر أنينا،

ولكن التفرّق طال حتى توقّد في الضلوع له حريق

فكلّما تخطر ببالي في أي وقت من الأوقات، يمثل لي التذكر منك محاسن ولطائف تجذبني ميلاً إليك، وتطربني شغفاً بك واغتباطاً بإخائك، فلا عجب إن كان شوقي لرؤيتك عظيماً، لأنه كما قيل «من كرم الرجل حنينه إلى أوطانه، وشوقه إلى إخوانه».

يا خلاص الأسير يا صحة المد ... نف يا زورة على غير وعد
يا نجاة الغريق يا فرحة الأو ... بة يا قفلة أتت بعد بُعد
ارض عنّي فدتك نفسي إني ... لك عبدٌ أذلّ من كل عبد

ناشدتك الله أن ترفق بحالي، وتعيد وصالي، وارع الودّ القديم، وأبدل شقاء محبّك بالنعيم، وأغمد سيف ظلمك المسلولا، وأوف بالعهد؛ إن العهد كان مسؤولاً، والسلام.

(من صاحب مشتاق إلى صاحب له)

صديقي المحترم؛

سلام يهديه محبّ، صادق في حبّه، مخلص في ودّه، وبعد.

فشوقي إلى لقائك لا يعبّر عنه بلسان، ولا يوصف ببيان؛ فإنك ماثل في قلبي، دائم نصب عيني، لاأزال أردّد اسمك على لساني، وأكرر ذكرك في جناني، شغفاً بك، وحنيناً إليك، لما أنت عليه من المكارم، واتساع المعارف، وطهارة الحسب، وأصالة النسب؛

خيالك في التباعد والتّداني ... وشخصك ليس يبرح عن عياني
وشوقك في الجوارح مستكنّ ... وذكرك لا يفارقه لساني

فشوقي إليك ما أعظمه! ووجدي عليك ما أشدّه! وإني لكثير الشغف برؤيتك، شديد التمسّك بصحبتك.

قد شرّف الله أرضاً أنت ساكنها ... وشرّف الناس إذ سوّاك إنسانا

وإني والحمدلله على حال تسرّك، ونحن جميعاً كما تحب، ولا ينقصنا

إلا مشاهدة أنوارك، فبشرنا بذلك عن قريب، واكتب إلينا به على جناح السرعة، ولك الشكر الدائم، والفضل العظيم، والسلام.

(ردّ الخطاب السابق)

سيدي الصديق المخلص؛

أهديك سلاماً زانه حسن الثناء، وخالص الدعاء، بطول بقائك يا حبيب الفؤاد، وصادق الوداد، وبعد.

فقد تشرّفت بمكتوبك، معطّراً بنشر مودّتك، وطيب صحبتك، وجميل المزايا التي من شأنها أن تزيدني محبّة لك؛

ففي كل سطر منه شطر من المنى وفي كل لفظ منه عقد من الدرّ

فَلِلَّه أنت أيها الصديق! ما أنقى صفاتك وأعلاها! وأسمى مآثرك وأغلاها! حقّاً؛ إني لم أجد لك مثيلاً في صدق الإخاء، وصحة الوفاء، ويعلم الله أني لودّك لحافظ، وما أنساني البعاد أحداً من الأحباب والأصدقاء، ومازلت أحنّ إليك وإليهم حنين الظمآن إلى الماء، والمشتاق إلى اللقاء.

جسمي معي غير أن الروح عندكمُ فالجسم في غربة والروح في وطن

فيا فرحي يوم ألقاكم، وياهنائي يوم أشاهد محيّاكم، قرّب الله أيام أُنسي بكم، وأقرّ عيني بقربكم، والسلام.

(من صديق يبثّ شوقه إلى صديقه)

حبيب القلب، وبهجة الفؤاد؛

قد طالت عليّ فترة رسائلك، وما علمتني من أهل الفترة منذ أجبت دعوة ودادك، مع كوني أشوق الناس إلى لقائك، وأحوجهم إلى بقائك، وطالما اشرأب نظري وسمعي، وتسارع فؤادي وروحي، إلى انتظار كتاب من عندك، يقوم مقام مشاهدة طلعتك، ويعلم الله أن شوقي إليك شوق ظمآن إلى برد الشراب، وحنيني لك حنين الشيخ إلى زمن الشباب؛

لـو أن كتبـي بقدر الشـوق واصلـة ... إليـك كانـت مـع الأنفـاس تتّصـل
لكننـي والـذي يبقيـك لـي أبـداً ... علـى جميـل ودادي منـك أتّـكل

وأسأل الله أن يجمعنا في صفا الأوقات، إنه مجيب الدعوات، والسلام.

(من تلميذ يتشوق إلى رؤية والده)

سيدي، وولي نعمتي، حضرة الوالد؛

أهدي لحضرتك سلاماً مقروناً بالاحترام، وتقديم تحيّات تليق بذاك المقام، وبعد.

فأنا ولدك الذي أذابه الشوق، وأنهكه الوجد، وقد طالت الفرقة، وصارت لك عندي وحشة، وما رأيتك، ولا جاءني منك كتاب يسرني، ويزيل بعض ما بي من شواغل البال، ولعلك أنت وباقي الأسرة بكمال الصحة، وتمام العافية، وأنا بحالة تسر خاطرك، محبوب عند رؤسائي وإخواني، متقدّم وفائز على أقراني، لا ينقصني إلا مشاهدة ذاتك، أو وصول كتابك؛

بالله لا تقطعـوا عنـي رسـائلكم ... فـإن فيهـا شـفاء القلـب والبصـر
فآنسـوني بهـا إن عـزّ قربكـمُ ... فالأنس بالسمع مثل الأنس بالنظر

ولولا ما تعلمه يا والدي من كثرة أشغالي، والمواظبة على مزاولة أعمالي، لأسرعت بوصولي، دون رسولي، وأرجو من مراحم شفقتك، وخالص محبتك، أن تتعطّف عليّ بكتابك يبشرني بكمال صحتك، وعلى كل حال فأنا المطيع لك، المذعن لأمرك، الخاضع لإشارتك، المعترف بفضلك، دمت لولدك.

(ردّ الخطاب السابق)

أي ولدي، وموضع أملي؛

عليك سلام والدك الذي يعنيه شأنك،م ويهمّه أمرك، ولك تحية الأب الذي يريد لك السعادة والخير، وبعد.

فقد وصلني كتابك الحسن الخط والإنشاء، وتلوته وكلي ألسنة حمد وثناء، وشكرته تعالى على كمال صحتك، وإسعاد حالتك؛

ورد الكتاب فجاءني بمسرّة ونفى عن القلب المشوق كروبا
فكأنه موسى أُعيد لأمه أو شخص يوسف إذ رأى يعقوبا

ولئن بعد المزار، ونأت الدّيار، وطالت الفرقة، وزادت الوحشة، كل ذلك هيّن في سبيل رقيّك، وعلوّ شأنك، فاصطبر صبر الحازم صاحب العزم، فما هي إلّا أيام تمرّ مرّ السحاب ثم تعود إلينا متحلّياً بالعلوم، مكمّلاً بالمعارف، حائزاً أسباب الخير والهناء، وبذلك نلتقي على بساط السرور والصفاء.

وإني يا ولدي ما قطعت عنك مراسلاتي، إلا لكي تتفرّغ لتحصيل دروسك، واشتغالك بالإعداد لمستقبلك، فكن عند ظني بك، وعهدي فيك؛

وإني وإن أخرت عنك رسالتي لأمر فإني في المودّة أوّلُ
فما الودّ تكرار الرسائل دائماً ولكن على مافي القلوب المعوّل

وفّقك الله لصالح الأمور، وأنالك ما تبتغي من الخير والسرور، والسلام.

(من قرين مشتاق إلى قرينته)

أيتها القرينة الفاضلة؛

أهديك سلاماً يحكي النسيم رقة، وقد طاب نشره، وفاح زهره، وأخصّك بتحية إخلاص، تشرق الآفاق بسناء نورها، وتتعطر الأرجاء بعرف عبيرها، وبعد.

فلو حاولت أن أصف الشوق الذي أعانيه، لا يستطيع قلمي أن يترجم معانيه، فياليت قلبي يتراءى لعينك، فتقرئين سطور ودّي لك، وتقفين منه على رأيي فيك؛

والشوق أوضح من أني أُبرهنه كالشمس تغنيك عن إثبات برهان

وحقيق بمودّة ارتبطت في الحق معاقدها، وأُسّست على المحبّة في الله قواعدها، أن يزيد عقدها شدّة، وعهدها على ممر الأيام جدّة، ويعلم الله أني لمعجب بمكارم أخلاقك، ممنون من كمال آدابك، مثن على محاسن خصالك، ولا غرو فقد اتصفت بمعالي الكمال، واستوليت على عرش الجمال وذلك إكليل الفخار الحقيقي الذي تزدان به ربّات الخدور، التي لها بين صفحات التاريخ صفحة من نور.

فياذات الشمائل الجميلة، والمناقب الجليلة، شوقي إلى مشاهدة نور

محيّاك بلغ أقصاه، ووداديَ خيّم الوفاء عليه وألقى عصاه، وأسأل الله تعالى أن يمن باللقاء القريب، إنه سبحانه وتعالى سميع مجيب، والسلام.

(ردّ الخطاب السابق)

حبيب قلبي وقرين فؤادي؛

أهديك سلاماً أبهى من سنا البدور، مقروناً بتحية من نور على نور، وبعد. فشوقي يتجاوز الحصر، والقلب أعدل شاهد، وما يكنه الضمير تبرزه المشاهد، والعين للفؤاد أقوى رائد، والإحسان للمحبّة قائد؛

وقيّدت نفسي في هواك محبّة ومن وجد الإحسان قيداً تقيّدا

وما كنت أظنّ أن القلم ينفث سحراً، والمداد يستحيل تبراً، أو اللفظ يكون دُراً، إلا عندما تلوت كتابك المرصّع بدرر البيان، وغرر المعاني الحسان، بألفاظ لها من الهواء رِقّته، ومن الماء سلاسته، ومن الشهد حلاوته، ومن السحر نفثته ولا جرم فتلك الأوصاف هي بعض صفاتك، وقد انعكست أشعّتها على القرطاس فنظرتني بمرآة ذاتك؛

كأن الحبّ دائرة بقلبي فحيث الابتداء الانتهاء

ويعلم الله أن شوقي إلى رؤيتك لعظيم، وجسمي من ألم البعاد لسقيم؛

يا نور عيني وروح جسمي مذ غبت غاب السرور عني

فأنت بهجة القلب وسروره، وضياء العين ونوره؛

خيالك في التباعد والتداني وشخصك ليس يبرح عن عياني
وشوقك في الجوارح مستكن وذكرك لا يفارقه لساني

وكيف أنسى شخصك الكريم، أم كيف أغفل ذكرك الحسن؛

خيالك في فكري وذكرك في فمي وشخصك في قلبي فأين تغيب

وإن اليوم الذي تعود إليّ فيه، لهو يوم الفرح الأكبر، والسرور الأعظم، فمنّ عليّ به، حتى يهنأ عيشي، ويطيب مقامي ويحسن حالي، أدامك الله عالي الشأن، سامي القدر جليل المقام، والسلام.

(من ولد مشتاق إلى والدته)

حضرة والدتي، ومنشأ نعمتي، أدامها الله محفوظة، وبعنايته تعالى ملحوظة، هذا رسول أشواقي إليك، يتلو عليك آيات السلام، ويقدم إليك واجب الاحترام، ويرتل سورة الحمد بإخلاص الدعاء، ويبتهل إليه تعالى أن يطيل لك البقاء، وبعد.

فيعلم الله أني إليك لمشتاق، ولرؤيتك تهزّني الأشواق، ولقد مضى زمن غير قريب، ولم أر من لدنك كتاباً يرتاح إليه الخاطر ويقرّ به الناظر، حتى عظم الشوق إلى لقياك، واجتلاء نور محيّاك، ولولا ما تعلمين من كثرة أشغالي، وتراكم أعمالي، لحضر ركابي بدل كتابي، وتشرّفت بالمثول أمام حضرتك، حتى لا أحرم من رؤيتك، فما أجمل الوقت الذي أراك فيه! وما أفضل الساعة التي أشاهدك فيها! ذلك أحسن أوقاتي، وتلك أجمل ساعاتي، وأعتذر عن كتابي هذا؛ فقد جاء يمشي على استحياء، وكلّما حركه الشوق يبطئه الحياء، أدام الله تعالى تلك الحضرة، وزادها في كل حال بهجة ونضرة، مع صحة تامة، ونعمة عامة، والسلام.

(ردّ الخطاب السابق)

ولدي، وموضع قصدي؛

أهديك أزكى التحية، مقرونة بخالص الأشواق القلبية، وأدعو لك بالسعادة والهناء، وكمال الصحة والصفاء، وبعد.

فقد اطّلعت على كتابك اللطيف، المتضمّن لكل معنى ظريف، وأنه ليجز لساني، ويعثر بناني، ويقصر بياني، عن وصف فرحي وسروري، حينما أشرق كتابك في سماء الكمال، يتيه عجباً بأثواب الحسن والجمال، ويسطّر من آيات المحبة والولاء، ويعرب عن فرط شوقك إلى اللقاء؛

ورد الكتـاب فـلا عدمـت أنامـلا كتبـت بـكل تعطّـف وتلطّـف
فكأنـي يعقـوب مـن فـرح بـه وكأنـه ثـوب أتـى مـن يوسـف

ويعلم الله أن ما عندي لك من الأشواق، تعجز عن بسطه الأقلام على صفحات الأوراق، فما مرّ ذكرك ببالي، إلا انشرحت به صدراً، ولا دعاني الشوق لمكاتبتك إلا لبيته عشرا، وإنما تأخيري عنك المراسلة، فلبواعث حالت دون المواصلة، واعلم يا ولدي أني بعد تلاوة خطابك سجدت لله شكراً، وحمدته تعالى على سلامتك التي هي أجلّ ذكرى، وصحتك التي هي من المولى النعمة الكبرى، أسأله أن يمنّ علينا باللقاء، لتقر منّا العيون وتطيب النفوس، وما ذلك على الله بعزيز، والسلام.

(من أخت مشتاقة إلى رؤية أخيها)

شقيق الروح والفؤاد، أخي العزيز؛

أهديك خالص التحيّة، المشفوعة بأشواقي القلبية، وأخبرك أنه من

حين مفارقتي لأنوار محيّاك، ما غاب شخصك عن الفؤاد، وشوقي إليك في كل يوم يزداد، وولهي إلى رؤيتك لا يحصر، وكسر قلبي بغير لقياك لا يجبر؛

عسى الدهر يدنينا ويدني دياركم ويجمع ما بيني وبينكم الشّملا
فأشكو تباريح الغرام إليكمُ وحرّ جوى تبلي عظامي وما تبلى

وأقسم لك يا أخي بصادق محبتك، وخالص مودتك، وحسن ولائك، ومجد آبائك، إنه، منذ مبارحتك مقرّ وطنك، لم يصفُ لي بال، ولم يهنأ لي حال، وأضرمت نار الفراق في أحشائي، حتى بقيت لا أدرك صباحي من مسائي، ولازمني الأرق واعتراني القلق، ولا تمر لحظة إلا وأصعد الزفرات من فراقك، وأذكر ما كان من حسن ولائك،

إذا تذكّرت أياماً لنا سلفت أقول بالله يا أيامنا عودي
كأنني يوم يأتيني كتابكمُ ملكت ملك سليمان بن داود

(ردّ الخطاب السابق)

أختي المصونة، وشقيقتي المحبوبة؛

أهديك عاطر سلام، يسفر عن صدق الوداد، ويعرب عن مرارة البين وألم البعاد، وتحيات صادرة عن قلب محبّ أضناه الفراق، وتجاذبته عوامل الأشواق، للتقرب إلى تلك الذّات، المتصفة بأبدع الصفات، وبعد.

فقد وافى شريف كتابك المعرب عن شوقك، وتأييد ودادك، فملأ القلب سروراً، والصدر انشراحاً وحبوراً،

بكتب الأنام كتاب ورد فَدَت يد كاتبه كل يد

فأهلاً به من كتاب، أودع بياض الوداد في سواد الفؤاد، وأنساني سماع الأغاني، من مطربات المعاني، فشرح نفسي، وبسط أنسي، وابتهج له فؤادي، ولا غرو؛ فقد عهدتك منذ الصغر تحبّين لي الخير، وتُعْنَيْنَ بكافة شؤوني، وليس في وسعي إلا ترتيل آيات حمدك بلسان الشكر والامتنان، تلقاء ما أوليتني من هذا الفضل والإحسان، وأسأله تعالى أن يحفظك ويرعاك، ويسعد أيامي بحسن لقياك، والسلام.

الباب السادس

في العتاب واللوم والتوبيخ

(من صديق يعاتب صديقه)

كتابي، إليك، ولا أريد إلا أن تنظر إليه بعين العناية، وتتدبّر معانيه وتحكم لك أو عليك بما فيه، وبعد.

فيعلم الله ما عندي من الشوق إلى لقياك، ولكن الأيام لم تساعدني على مشاهدة محيّاك، إلى أن سمح لي الدهر بيوم من الأيام، فحضرت دارك، وسألت عن معالي جنابك، فخبرت أنك خرجت لزيارة بعض الأصحاب فانتظرت برهة من الزمان وصرت أحدّق النظر بالباب، وإذا بأنوارك قد سطعت، وملأت الدّار، فقمنا تعظيماً وإجلالاً، وأقبلت على من كان حولي، وصافحتهم واحداً بعد واحد، إلى أن مررت عليّ وتركتني في زوايا الإهمال، كأنه لم تجمعني وإياك جامعة تعارف، حتى كبر عليّ الأمر، وصرت أعرّف الناس بأن فرط المحبة رفع عنا الكلفة، أو أن ذلك سهو منك، (ولكل قادم دهشة) فيا حضرة السيد ما كان أجدر بك، أن تراعي حقوق أخ مقيم على صداقتك! فتقابله بما كان يليق به من الحفاوة والتعظيم في محفل كثر فيه من لا تربطنا بهم مودة متينة،

حتى وضعوني في المكان الذي لا يليق بي، وظنوا بي الظنون، فاستغفر لذنبك إن كنت فعلت هذا الأمر عن قصد وعمد، وإلا فنبّه نفسك وأفق مما أنت فيه، والسلام.

(من أخت تعاتب أخاها على انقطاع أخباره مدة من الزمان)

أخي وحبيبي، وقرّة ناظري، ونصيبي من ذخائري؛

يا من أوحش العين جماله، وسكن القلب خياله، وامتلك الروح وداده، وذهب بالصبر بعاده، وقوّض سرادق الأنس فراقه، وأطلق زفرات الوجد انطلاقه، لقد طالت غيبتك عنّا، وقَصُرَ صبرنا عنك، وضاقت بنا الحال، حتى أصبحنا من الشواغل والأفكار؛

كريشة في مهبّ الرّيح طائرة لا تستقرّ على حال من القلق

فعلام هذه القسوة،؟! وإلام ذاك الجفاء؟! هل جرّد الرحمن قلبك من العواطف، فتركه كالصخر لا تؤثّر فيه العواصف؟! أم شُغلت بمن هو أولى منّا؟!... أم أنكرت حبّنا لك؟: أم نسيت ما بذله الوالدان في تربيتك؟ ألم تعلم أن القلق أخذ من قلبهما كل مأخذ؟! ألم يأن لقلبك القاسي أن ترفق وتشفق؟! لئن لم تنته عن تلك الفظاظة، وتذكر العشرة، ولا تخفر الذمة، لركبت في سبيلك أخشن مركب، وأسقيتك من جفائك وكبريائك شرّ منهل، ولتبرأ منك الوالدان، حتى يبلى الجديدان؛

إذاانصرفتنفسيعنالشيءلمتكد إليه بوجهٍ آخرَ الدَّهر تُقبِلُ

وإن أطعتني وكتبت إلى والديك كتاباً يبرّد غليلهما، ويطمئن قلبهما، فأنا أختك الشاكرة لصنعك الجميل، وإنك لفاعل إن شاء الله تعالى، والسلام.

(رد الخطاب السابق)

وردني كتابك فغمّني الاطلاع عليه، وأحزنني النظر إليه لما اشتمل من حدّة لفظك، وشدة عتبك، ونسبتي إلى الجفاء وقسوة القلب، وإنكار الجميل، وقطع حبل الوفاء، فكان عندي أشدّ من وقع السهام، وأحدّ من ضرب الحسام، ولم تعلمي ما ألمّ بي أثناء تلك المدة من السقام، حتى تذيقيني اليوم من الكلام الأمرّين وتكيلين لي الكيل كيلين؛

وهل في شرعة الإنصاف أني أُكلّف خُطّة لا تستطاعُ
وأن أُبلَى برَوع بعد رَوع ومثلي حين يُبلى لا يُراعُ

ولكن لو تأنّيتِ، وفي العجلة مندمة، وبعض اللّوم مظلمة، لظهر الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، على أنه لم يسبق بيني وبينك ما يقضي باتّهام الذّمة، أو يعبث بمحبتي لك بحرمة؛ كيف لا وإن حبي لوالديّ الكريمين صادر من صميم فؤادي، وإن طاعتهما هي غايتي ومرادي، فكيف أغفل ذكرهما من بالي، وأنسى حقوق تربيتهما لي، ولكني لا، أريد أن أعاتبك على ذلك كله، بل أدع شأنه إلى قلبك، عساه أن ينصفني من ظلمك، والسلام.

(من صديق يعاتب صديقه الذي سافر وقطع عنه المكاتبة)

صديقي القديم؛

العتاب أيّدك الله تعالى صفاء النفوس، ومطالبة بما فات من ذمّة الإخلاص، وإقبال على ما أدبر من الوداد، وتحسين لمظنّة البعاد.

والوحشة منزلة بين المُصافاة والمُقالاة، فإن طال عليها أمد الإعراض صارت قلى، وإن أُدركت بالعتاب عاد الأنس وانجلى، ونحن حفظك الله قد ابتلينا بهذا الفراق، حتى بعد عهدنا بالتّلاق، فكان من أقلّ جناياته أنه أنساك عهدي، وأخلق عندك ديباجة ودّي، وهذا مالا أنتظره منك، ولا أعهده في مكارم أخلاقك، ولا تظنّ أن البعد الجسمي له أثر في ضعف هذا الإخلاص، فلئن بعد عنك جسمي، فقد قرب منك قلبي، وربّ حاضر معك بعيدٌ عنك، وغائب عنك قريب منك، وإن بعدك عني لم يقلّل من ثقتي بك، بل زادني ثقة ومودّة، وإخلاصاً ومحبة؛

مـا عوّدونـي أحبّائـي مقاطعـة بـل عوّدونـي إن قاطعتهـم وصلوا

ويعلم الله أني فارقتك، ولم يفارقني كمال أخلاقك، وضياء عرفانك، فارقتك فذكرت أياماً ما كان أحسنها! وأزماناً ما كان أجملها!

يـا حبيبـاً زواه عنّـي البعـاد وتدانـى منـه الوفـا والـودادُ
وأديبـاً سـما بـه الفضـل واعتـزْ ز لديـه الإنشـاء والإنشـاد

ولقد كان من واجب الصداقة ألا تنقطع عني كتبك، وألا يتأخّر عنك كتبي، وانتظرت منك ذلك مراراً فلم تفعل، فبدأتك بالمكاتبة، لأتشرّف منك بالمخاطبة، حتى يقلّ ما بي من الشّوق، ويخفّ ما عندي من الوجد، فيحسن حالي، ويهدأ بالي، والله المسؤول أن يعيد أيامنا على عهدها، ويبوّئ النفس مبوأ صدق من وعدها، وقصارى ما أتوقّع من ودك، دوام مواصلتي برسائل الاطمئنان، ولا عدمتك، والسلام.

(رد الخطاب السابق)

صديقي الحميم، في الحديث والقديم؛

ورد لي شريف كتابك، يعرب عن خالص ولائك ووداك، ويذكرني من عهودك مالا ينسخه تراخي الأيام ولا ترامي البعاد، ويعلم الله أني في غاية الخجل، لما لحقني من التقصير في مكاتبتك، على ما تفرضه سنة الإخاء، ويحث عليه داعي الوفاء، ولكني في هذه المدّة كلّها مازلت من حال إلى حال، ما بين حلّ وترحال، إلى أن حقّت عليّ كلمة العتب، ولحقني العيب والذنب، ومثلك من وفى الصّحبة حقها، وإن قصّر الصاحب، ومن طالبه كرمه بالوفاء، وإن لم يكن له من يطالب ؛

عتابك لي مولاي والله لم يزل دليل على صفو المحبّة والود
وعتب الفتى في كل أمر صديقه على كل حال كان خيراً من الحقد

فلازلت غرّة الإخوان والإخاء، وقرة عيون الأصدقاء، والأولياء، بِمنّه تعالى وكرمه، والسلام.

(من مريض يعاتب صاحباً قصّر في عيادته)

حضرة صديقي المحترم؛

سلامي عليك، وشوقي إليك، وبعد.

فقد نال مني المرض وأخذ مأخذه، ومكثت مدة طويلة، أُعاني أهواله، وأُقاسي شدائده، ولبثت أياماً أتقلّب على فراش المرض جنباً لجنب، وظهراً لبطن، وقد وهن العظم مني، وازداد الجسم ضعفاً،

حتى رثى لي البعيد والقريب، وأخذ إخواني وأصحابي يقبلون عليّ، ويفدون إليّ، يعودونني، ويخفّفون بعض آلامي، حتى منّ الله عليّ بالشفاء، وأبعد عني الداء، ولبست ثوب العافية، وحلّةَ الصحّة، وفي أثناء ذلك كنت أرجو وآمل أن تعودني مع العوّاد، أو تهنئني مع المهنئين؛

أنت عيني وليس من حق عيني غضّ أجفانها على الأقذاء

ولقد كان إغضاؤك عني، وأنا في حالة السّقم، أشدّ عليّ مما نالني من الألم، فإن إظهار الإعراض والصّدّ يؤذن بقطع حبال الصداقة والودّ، ولا سيما عندما تلمّ الكوارث، وتطرأ الحوادث.

وما كنت لأظنّ أن خاطر سيدي يسمح بالتّفريط في جانبي، ويهمل السؤال عما حلّ بي، مع أ ن ذلك من أيسر الأشياء التي توجب له الثناء؛

إن خلّاً ملّ منا خلِّنا بالله منه
هو لا يسأل عنا ما لنا نسأل عنه

ولعلّ التأخير لعذر منك مقبول، وأمر عاقك معقول، ولذلك لم يسعني إلا العتاب، الذي هو رابطة المودة بين الأحباب؛

إذا ذهب العتاب فليس ودّ ويبقى الودّ ما بقي العتاب

وأملي أن تشرح لي حالك، وتكتب إليّ بما عاقك، حتى تدوم مودتنا، وتبقى صداقتنا، وتزداد محبتنا، إن شاء الله تعالى، والسلام.

(من صديق إلى صديقه يعاتبه على انقطاع مكاتباته)

أيها الصديق باعتبار ما كان، المتقلّب في صحبته كتقلُّب الزّمان، أصلح الله شأنك، ولا حقق ما شانك، وبعد.

فما كنت آمل انحلال عرى المودّة بيننا إلى حدّ منعت عنده الرسائل، وفترت بسببه العلائق، وكأني بك وقد منعتني ودّك، ومنحتني صدّك، رَضِيعَا لِبَانٍ، على وداد ومحبة ثابتين، لا يغيّرهما الجديدان، وصفاء وإخلاص دائمين، لا يكدر صفوهما حدثان الزمان؛ فليت شعري: هل بلغك عن أخيك ما رابك في وداده، أو تخالج في صدرك ما حدّثك بصدّه وبعاده؟ وهبني هفوت أو زللت؛ فما عوّدتني إلا إقالة عثارى، وقبول أعذاري؛ فتكرّم عليّ بردّك، واسمح بسابق ودّك، لنحتفظ بمودّتنا، ونتمسك بصحبتنا، ونوطّد عرى صداقتنا، ونطمئن عليك؛

بالله لا تقطعوا عنّي رسائلكم ... فإن فيها شفاء القلب والبصر
فآنسوني إذا ماعزّ قربكمُ ... فالأنس بالسمع مثل الأنس بالنظر

فإن رأى سيدي أن يتحفني بكتابه، ويسعدني بجوابه، كنت مديم الشكر لأفضاله، مستمر الثناء على كماله، والسلام.

(ردّ الخطاب السابق)

صديقي المحترم؛

وافى كتابك والعتاب قرينه ... والودّ ينبت بالعتاب ويثبت
فقبلت ما وافى به مستبشراً ... بوروده إذ بالمكارم ينعت

لا تؤاخذ بالإساءة من لم يتعمّدها، ولا تحرم المودة من يستحقها؛ فالكريم يتغابى عن كثير مما يكره، ويغضي عن كرم ولا يعجل إلى العتاب حتى ينظر مواقع العذر، ولا يلوم اللائمة حتى يبلغ غاية الفحص؛ فأنا وإن كنت منعت الرسائل، فقلبي رسولك، أو قطعت العلائق فقلبي معلّق بك، وكيف أجفو أخاً استوثقت من إخائه، أو أسلو صديقاً تحقّقت صدق ولائه، والحقيقة أنه اعتراني مرض ألزمني الفراش، وكلما آنست من نفسي شفاء وعافية، وهممت أن أكتب إليك، عاودني المرض، حتى سبقتني بكتابك الذي قوّى بيننا رابطة الوداد. وحقيق بمودّة ارتبطت في الحقّ معاقدها، وأسّست على المحبة في الله قواعدها أن تزيدها الأيام وثوقاً في العرى، وإحكاماً في البناء، ونماء في الغراس، وتشييداً في الدعائم.

والسيد أطال الله بقاءه، أجدر من قبل معذرة صديقه، وأغضى عن بطء استدعته الضرورة، ولحضرته الشكر، والسلام.

(من محسن يوبّخ من أنكر جميله)

يا حضرة صاحبي؛

إني لا أعرف للجميل طريقاً أوعر من طريقه إليك، ولا هيئة أقبح منه عليك؛

فالمعروف لديك ضائع، والجميل عندك منكور، والشكر منك مهجور، وإنما غايتك في الخير أن تكفره، وفي فاعله أن تحقره، ولطالما صبرت على الأذى، وأغضيت على القذى؛

فـلا يغـرك طـول الحلـم منـي فمـا أبـداً تصادفنـي حليمـاً

وانظر إلى فعلي وما قابلتني به، تر نفسك من الأشرار، حقيقا بالذّلة والصغار؛

تقابلني بلا كرم وحلم فأحتمل الأذى كرماً وحلماً

إن هذا لشيء عجاب، وحسبي أن أملي خاب، عند من كنت أعده من الأصحاب، ويعلم الله أني كنت أحلّ مودتك المحل الأرفع، وأُنزلها المنزل الأوسع، ولكن ندمت على غرس صنيعي في أرض بور... فاهنأ بقطيعتي إياك مدى الدهور؛

ناب قلبي من إثم ودك لما شاف سوء الخلاق فيك وراثه
لك طبعٌ لو أنّه لنبيّ طلّق الناسُ دينه بالثّلاثه

أي هذا؛ محبّتك كانت فبانت، وإن لم يغنك التّلميح عن التّصريح، والخفيّ عن الصّريح، فكتابي إليك ورقة تسريح مسجَّلة البنان، بعد سبق النية ونطق اللسان، وشهد به القرطاس والقلم، وزكّاهما الإباء والشّمم، والسلام.

(رد الخطاب السابق)

سيدي المحسن الكبير،

وردني شريف خطابك، يتلو عليّ سور إرهابك، وفيه من حدة لفظك، وخفة حلمك، ما خشيت أن يشتعل به لدي أو يطير من بين يدي، ولا أدري لهذا التوبيخ سبباً، ولم يسبق بيني وبينك ما يقضي باتهام الذّمة، أو يعبث لجميل معروفك بحرمة، وقال تعالى: «ولا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى».

فرفقاً يا مولاي بمملوكك، الذي لا يحول عن ملك يديك، ولا يطيب له انقياد إلّا إليك؛ فقد حملت عليه حملة شعواء، وأكثرت عليه من التّلويح والتّعريض، وعرضت قلم عتابك أيّ تعريض؛ فلله درّ قلمك؛ من أيّ غاب كان مقطوعاً، وبأي فأس كان مقطوطاً، ومن أي حمأة كان مفطوطاً... ولكن:

قـد يوحـش اللفـظ وكلّـه ودّ ويكـره الشـيء وليـس منـه بُـدّ

(من صديقة تعاتب صديقتها على انقطاع المكاتبة)

حبيبتي الفاضلة وأختي الكاملة، زادك الله فضلاً وكمالاً؛

أهدي خالص تحيتي، وأقدّم عاطر سلامي لصديقتي، وبعد.

فما كنت أتوهّم أن ابتعاد الأشخاص يستوجب انقطاع الإخلاص، ويستدعي أن تهمل الصديقة صديقتها، والأخت أختها، والحبيبة حبيبتها، حتى لا يكون كتاب ولا خطاب، مع أن المكاتبة- أبقاك الله على بعد المزار- بمنزلة التزوار مع قرب الدار، والزيارة إذا تجاوزت مسافة الأغباب آذنت بالنسيان، والرسائل إذا تجاوزت حدّ الإبطاء أنذرت بالسلوان؛ فكيف هذا وأنا وأنت قد كنّا لا يهدأ بالنا، ولا يطمئن خاطرنا إلا إذا عرفت كل واحدة منّا أحوال صاحبتها، وأمور صديقتها واجتمعت بها، وائتنست بقربها، وامتلأت سروراً برؤيتها، تلك أيام عهدتك فيها فريدة ودّي، ووحيدة حبّي، وقرة عيني، وصديقتي الصادقة، وأختي المخلصة، فهل حسبت أن البعيد عن العين بعيد عن القلب، حتى قطعت المكاتبات؟ أم حسبت أن الصّداقة والمودّة من

قبيل المصادفات؟! كلا ثم كلا؛

منيّ السلام على من لست أنساها ولا يملّ لساني قطّ ذكراها
فإن تغِبْ رؤية فالقلب مسكنها ومن تكون بقلبي كيف أنساها

واعلمي يا حبيبتي أن حبّي لك دائم، وقد بدأتك بالمراسلة، راجية عدم انقطاع رسائل الوداد، مع الإغضاء عن عجزي في مقابلة إحسانك، ولا عدمتك حبيبتي، والسلام.

(من أم توبخ أكبر بناتها)

أي بنيّتي...

كنت صغيرة ذات أدب وكمال، كريمة الشمائل، حسنة الأحوال، تسرّني أعمالك، وتفرحني فعالك، أفتخر بك عند ذكرك، وأزداد سروراً عند مقارنتك بغيرك؛ فمالك اليوم، وقد كبر سنّك، وازداد عقلك، وأصبحت قدوة لإخوتك وأخواتك، وأسوة يؤتم بك ويقتدى بفعالك؟! لا تسرّني أعمالك، ولا تفرحني فعالك، حتى لقد هممت بأن أغضب عليك، وأذكر ذلك لوالدك، وتكرر هذا منك غير مرة. وأنا خوّفتك العواقب، ولم تسمعي لقولي، ولم تصغي لحديثي، واتّبعت نفسك وهواك، ولكن هذا آخر ما بيني وبينك، وأنا أحرص على فائدتك من نفسك، وأعلم منك بما يفيدك وينفعك، وحذار من سقوطك في الشراك، ووقوعك في مهاوي الهلاك، فتندمي ولا ينفع الندم، وفقك الله لصالح الأمور، وهداك إلى خير الأعمال، وجليل الأفعال، بمنّه تعالى وكرمه، والسلام.

(من والد يوبخ أولاده المتكاسلين في دروسهم)

أولادي الأغبياء، وأبنائي التعساء؛

أفحسبتم أنما أرسلناكم للمدرسة عبثاً، ولم تعلموا أننا جعلنا عليكم رقيباً وعسساً، وظننتم أنكم إلينا لا ترجعون، فعثتم في الأرض فساداً ولا تخشون، وانغمستم في بحار الشّهوات، حتى غرقتم في تيار اللّذات، ومشيتم في الأرض مرحاً وزهواً، فأضعتم أوقاتكم سدى ولهواً، وتفنّنتم في ضرورب الخلاعة، وصنوف الجهالة، حتى ذهبت أتعابنا أدراج الرياح، وبعتم الفضل في سوق الرذيلة بيع السّماح بالأرواح، إن هذا لشيء عجاب، كيف تكفرون نعمي ونعم الله عليكم؛ فلم تراعوا لأبيكم حرمة، ولم ترقبوا في الله إلا ولاذِمّة؛ قد أعماكم عن مصالحكم الغرور، وأدخلتم في قلوبكم جميع الشرور، ونبذتم المعروف وراء ظهوركم، مقتدياً في ذلك صغيركم بكبيركم.

كيف لا، وقد أرسلتم إلى المدرسة لتعصموا أنفسكم من سيئات الجهل، وتلبسوها حسنات العلم، وأنفقت في سبيلكم من الأموال مالا تجهلون قدره، ولا تبخسون أمره؛

أعاتبكم على ما كان منكم عتاباً نافعاً والودّ باقي

فالبدار البدار قبل أن أقنط من حسن مستقبلكم فأتبرّأ منكم، ويغضب قلبي عليكم، واتقوا الله في أنفسكم وأهليكم، وإياكم والاغترار؛ فإنه يوقعكم فيما يرديكم ولا يرضيكم، ويسوقكم إلى ما يشمت بكم أعاديكم، وكفى بهذا تبصرة، فليس لكم بعدها معذرة، والسلام على من اتبع الهدى.

(من والدة توبخ ولدها على إهماله دروسه)

ولدي؛ بلغني ما انتهى إليه أمرك، من إهمالك واجباتك وعدم انتظامك في أعمالك، ومخالفة أوامر رؤسائك، فأدهشني منك صدور مثل ذلك، وما كنت لأصدقه لولا أن جاءتني شهادة الامتحان، منبئة بعدم حسن سلوكك، دالة على عدم اهتمامك بدروسك، فأصبحت في حالة لا أستطيع عليها صبراً، ولا أقدر لها قدراً، خصوصاً وأن لهذا الخبر المشؤوم؛ أسوأ وقع في قلب والدك، كما أسأت كل الإساءة إلى والدتك، فليت شعري؛ ماذا تقصد بذلك؟ أتريد أن تكدّر صفو والديك، وتنغّص حياتهما بسوء سيرتك؟ أبهذا تقابل محبتهما وأتعابهما؟ ألهذا وضعاك في المدرسة، وأنفقا في تربيتك مالهما؟ أم أنت راغب عن حسن مستقبلك، مفضل الضعة على اعتلاء رفعتك؟!

أفق أيها المغرور من نومك، وقوّم من أودك، ودع الطيش والكسل، والزم الاجتهاد في العمل، واستمل إليك قلوب المدرسين بطاعتك، لأنهم إنما يبذلون أنفسهم لإنارة عقلك، ولا غرض لهم سوى نفعك، والسّعي وراء ما يعود عليك بارتقائك، ويكفل لك خير حال، وأسعد استقبال؛ فاتعظ بما أعظك به، يحسن ذكرك، ويشرف قدرك، والسلام.

(رد الخطاب السابق)

سيدتي الوالدة المصونة، عشت في صحة وصفاء، وسرور وهناء،

تحيّة طيبة من ولدك، المعترف بعظيم نعمك، المتربّي في حضن آدابك، المتغذّي بلبن أفضالك، المطيع لأوامرك، المحبّ لنصائحك، وبعد.

فقد تشرفت بكتابك فقبّلته احتراماً، ووضعته على رأسي إكراماً، ثم فضضته من ظرفه، فإذا هو يرميني بصواعق التّوبيخ والتهديد، وينذرني بضروب الإرهاب والوعيد، فأقلبت ألوم نفسي الأمارة بالسوء، وأحاسبها على قبيح سيرها، وتشويه سيرتها، وتدنيس سمعتها، وعدم مبالاتي بعصيان أساتذتي، وإسخاط والديّ، وإنكار جميلهم عليّ، وغير ذلك مما يغضب الخالق والخلق، وقد اعترفت بخطئي وحصحص الحق، والتزمت أن أسلك سبيل الاستقامة في أعمالي، وأتبع طريق الهدى في جميع أشغالي، وأسألك يا والدتي الصّفح عن تلك الزّلات، واذكريني أنت ووالدي بصالح الدعوات، وعهد عليّ، أني لمثل ما سبق لا أعود، والله على ما أقول شهيد، والسلام.

(من والد يوبخ ولده على إهماله أعماله)

ولدي.. بلغني عنك ما ساءني، بعد أن عرفت عنك ما سرّني، وسمعت ما لا تحمد عقباه، ولا تحسن أخراه، من إهمال في الأعمال، وافتخار بالمال، وتعلّق شديد بالزينة والجمال، وما الزّينة إلا زينة الأدب، ولا فخر للإنسان إلا عمله، وما كسبته يداه، ونفعه في دنياه وأخراه؛ فما الذي تسوّله لك نفسك؟ أتعتمد على ثروتي وهي لا تغني عنك شيئاً، إذا كنت جاهلاً؟ أتركن إلى شهرتي وهي لا تنفعك، إذا كنت خاملاً؟ فعار عليك أن تتكل على غير أعمالك، وتعتمد على فضل آبائك، وتفتخر بأجدادك وأنسابك، وبذلك تصبح بين إخوانك وضيعاً، بعد أن عرفوك رفيعاً، وعهدوك طالباً للمعالي، سبّاقاً لاقتناء العوالي، والآن يا ولدي مستقبلك بين يديك، فضع نصائحي نصب عينيك، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، والسلام على من اتبع الهدى.

(رد الخطاب السابق)

مولاي الوالد، أطال الله بقاه؛

بعد تقبيلي يديك، وسلامي عليك، أفيدك بأني اليوم تشرفت بكتابك الكريم، فانشرح له صدري، وطابت بقدومه نفسي، وقرّت به عيني.

ولما فضضته وتلوته، والتمست من خلاله سبب تأخير مكاتبتك تبيّن لي أن عقارب الواشين، دبّت بيني وبينك، فأسفت لعدم رضاك عني، واعتقادك فيما أنا منه بريء، والله حسبي ونعم الوكيل.

ويعلم الله، أن تربيتك إياي تمنعني أن أعمل غير الذي تريد، أو أفعل غير الذي يرضيك؛ فأنا لم أهمل عملي كما بلغك، ولم أترك السعي وراء ما يكسبني الشرف وعلو القدر، معتمداً على نفسي، محباً أن أكون عصامياً عظامياً.

ويعلم الله أني خاضع لأمرك، مطيع لرأيكم، مسرور من حسن عنايتك، شاكر لحضرتك جميل رعايتك، ولقد زادني كتابك هذا نشاطاً واجتهاداً، وملأ قلبي نوراً وإرشاداً، وسترى مني ما يسّرك، وما تحبه من الخير لولدك، والسلام.

(من صديق يعاتب صديقه على عدم توديعه ساعة سفره)

صديقي المحترم؛

عهدي بحضرتك، حرس الله مهجتك، وحفظ بهجتك، وأدام مودتك، أن تتهلّل للقائي بشراً، وتبتسم ثغراً، وتنشرح صدراً، وتبتهج خاطراً، وتقرّ ناظراً، فما بالك بالأمس؟! لم أرك لي مودّعاً، ونأيت عنيّ جانباً، وأعرضت مجانباً، ناسياً أو متناسياً ما بيننا من روابط الإخاء، وعقود

الولاء، وعهود الوفاء، وأقسم لك بالود القديم، أن شوقي لرؤيتك لعظيم، ولكن ماذا أصنع لصديق قد تحوّل، ولا أدري لأي سبب قد تغيّر، أرأى مني ما عكر صفاءه، وأوجب جفاءه، أم سعى بيني وبينه واش لئيم، همّاز مشّاء بنميم، منّاع للخير معتد أثيم.

فإن كان الأول، فأرجو منك مغفرة، وقبول معذرة، وإن كان الثاني، فالواشي حسود، وعدوّ لدود، يطفئ نور الاتفاق بالنفاق، ونحن حفظك الله قد ابتلينا بالفراق، حتى بعد عهدنا بالتّلاق، فكان من أول جناياته، أن أنساك عهدي، وأحلق عندك ديباجة ودّي، ومعاذ الله أن أقول إنه غيّرني عليك، أو كفّ من نزوعي إليك؛

خبأت لكم حديثاً في فؤادي ... لأخبركم به عند التّلاقي
أعاتبكم على ما كان منكم ... عتاباً ينقضي والود باقي

وإن كنتُ بإعراضي عنك أحق، وكنت بمدابرتك لي أسبق؛

ولكن شقائي في هواك سعادة ... وفي الودّ إشفائي شفاء مخلّد

ووالله لولا ذمّة سبقت، وحرمة وثقت، ما راجعتك مراجعة المصافي، ولا طالبتك بود الأخ الموافي؛

إن كنت أنت نسيت ودّي ... ونقضت بعد البعد عهدي
وحللت عقد أخوتي ... بأكفّ سلوان وصدّ
فاعلم بأني ما برح ... ت كما علمت الودّ عندي
والله ما نقص الوفا ... من مهجتي بل زاد وجدي
أتظن أني مثل بعض ... الناس في إخلاف وعدي
فدع الجفا أولى فإني ... بالوفا قد فزت وحدي
لازلت في حفظ الإلـ ... ـه ممتعاً بأجلّ قصد

(من صديق يعاتب صديقه على عدم المكاتبة)

عزيزي المحترم، لا حرمني الله رؤيتك، وسرني ببقائك؛

إن أجمل ما تتحلّى به صحائف الأوراق، وأبهى ما تزدان به رسائل الأشواق، سلام يسفر عن صدق الوداد، ويعرب عن حرقة الفراق وألم البعاد، وتحيّات صادرة من محبّ لازمه السّهاد، وحرمه لذّة النوم والرقاد، وبعد.

فلا يكاد خيالك يغنيني نوماً، وما لكتابك لا يسرني يوماً؛

لقد يشتاق سمعي منك لفظاً ... ويوحشني خطابك بعد بين
فأودع طيب لفظك لي كتاباً ... لأسمع ما تخاطبني بعيني

ليت شعري؛ أعدم مكاتبتك لي لجفوة؟ وكيف يجفو من ليس الجفاء من طبعه؟! أم نبوة؟ وكيف ينبو الشكل عن شكله؟! أم شغل؟ فهلا جعلتني من شغلك! أم فرط ثقة منك بي؟ فذاك لعمري أجدر بك، وأثبت في الوهم، وأغلب في الظن، وأدعى لمفاتحتك بهذه المكاتبة، ولولا حرصي على صداقتك، وبقائي على مودّتك، ما كتبت إليك عاتباً ولا لائماً، ولكنها الصداقة قضت بذلك، فراع حقوقها، وتكرم بجواب يشفي العلة، ويطفئ الغلّة، لأن الحقوق بيننا توجب من التواصل ما نحن على ضدّه في ظاهر التعامل؛

تقصر الكتب عن تطاول عتبي ... ليت شعري فما الذي كان ذنبي
لا كتابٌ يأتي ابتداء ولا رَدْ ... دَ جواب إذا ابتدأت بكتبي

حفظك الله ورعاك، وأسعد أيامي بلقياك، بمنّه تعالى وكرمه، والسلام.

(من صديق إلى صديقه يوبخه على عدم قضاء حاجة له)

أيها الصديق القديم..

جعلتني أعزك الله غرضاً لسهام العتاب، وهدفاً للتقريع، فقد ولجت باب الرجاء، لغرض توسّمت فيك المبادرة لقضائه، فأعرضت عني إعراضاً تجاوز حدّ حقوق الصحبة والأخاء.

إن هـذا الجفـاء قصـدٌ وإن ذاك الـوداد زور

فحقّ لي العتب عليك، وتوجيه الملام إليك، لأن الرضا بما فعلت يُعدّ ضرباً من التحقير، الذي لا يرضى به إلا كل ساقط حقير، وأنا كالساعي إلى حتفه بظلفه، لجهلي قيمة نفسي وحقيقة أمري، وحسبي أن الأمل خاب، عند من كنت أعدّه من خيرة الأصحاب، وليت شعري؛

أتناسـيتَ أم نسـيت إخائـي والتّناسـي شـرّ مـن النّسـيان؟

على أن الزمان قد أظهر المكتوم، وما منّا إلا وله مقام معلوم؛

قـد يوحـش اللفـظ وكلـه ودّ ويكـره الشـيء وليـس منـه بـدّ

وبعد؛ فهذا طرف من عتاب جاش به الصدر، وقلّ عن كتمانه الصبر، وأنت تعلم أن مذهبي في صحبتك يباين مذهب الذي يقول:

وإن جفـاك صاحـب فخـذ عليـه بـدلا
فمـن أتـى فمرحبـا ومـن تولّـى فإلـى

بل مذهبي أن أصل الأسباب وإن قطعته، والسلام.

(ردّ الخطاب السابق)

عزيزي المحترم؛

وصل كتابك الفظيع، الحاوي لألفاظ التوبيخ والتقريع، وصبرت على مافيه من الأذى، وأغضيت على ذاك القذى، وكيف تخاطبني بالجفاء، وتطالبني بالوفاء، وتوتر قسي الملام، وترشقني بسهام الكلام؛

تخاطبني بلا كرم وحلم فأحتمل الأذى كرماً وحلماً
ولو حسن الجواب لكان عندي جواب يفلق الصخر الأصمّا

لقد هتكت حرمة الوداد، ولم تلتمس لأخيك عذراً، وعجّلت الملام قبل أن أحدث لك منه ذكراً، وما يدريك أن لي عذراً وأنت تلوم، وما كفاك هذا وذاك، حتى أقمت الحرب على قدم وساق، وشددت على أسيرك الوثاق؛

فلا يغررك طول الحلم مني فما أبداً تصادفني حليماً

والله يعلم أنني لم أحل لك عن عهد، ولم يتغيّر بيني وبينك ودّ؛

عتاب كوى كبدي وجدد حسرتي وأجرى على الخدين مكنون عبرتي

وستعلم أني لم أخنك بالغيب، وأني بريء من ذلك العيب؛

هبني أسأت كما زعم تَ فأين فائدة الأخوّه
وإذا أسأت كما أسأ تُ فأين فضلك والمروّه

ألهمك الله الصّواب، وحفظك من مقاطعة الأصحاب، والسلام.

الباب السابع

في رسائل الشكوى

(من تلميذ إلى والده يشكو إليه سوء سلوك أخيه الأصغر)

سيدي الوالد الجليل

أُقدّم سلامي، لمقامك السامي، وبعد.

فيعزّ عليّ أن أبلّغك ما لا تحبّه ولا ترضاه، وسكوتي عنه لا تُحمد عقباه، عسى أن يُستدرك الأمر ويُحسم الدّاء، قبل أن يستحكم ويتعذّر الدّواء فتحسن العواقب، وتصلح الأحوال.

ذلك أن أخي... قد أهمل الاجتهاد والعمل، واسترسل في اللعب والكسل، ونبذ دروسه ظهرياً، وهجرها نسياً منسياً، غير مكترث بالنّصائح، ولا خجلان من الفضائح، حتى أعيى أمره المدرّسين، وما كانوا له بمهتدين، وقد استعملت معه ضروب النصائح، حتى علقت آماله على أجمل المكافآت، ووعدته بأجزل العطيات، وأخيراً سلكت معه طرق

الشدّة والإرهاب، وعبثاً ما حاولته؛ فقد ذهب أدراج الرياح، ولم يرجع إلى الصّواب، لهذا وذاك لم أرَ مندوحة من تقديمي لحضرتك هذاا لبلا غ، لترى أنت رأيك في أمره، وتقف أنت بنفسك على حقيقة خبره؛ فالأمر منك وإليك، وسلامي عليك.

(رد الخطاب السابق)

ورد لي كتابك، فكبر في قلبي مقامك، بارك الله فيك وأدامك محفوظاً، وبعنايته تعالى ملحوظاً، وبعد.

فقد ساءني ما ذكرته من حال أخيك، كما سرّني اهتمامك بشؤونه، ومبادرتك بإفادتي بعد أن حبطت المساعي في إصلاحه، وإني فكّرت كثيراً في أمر أخيك الذي أقلق راحتي، وكدّر صفوي، فرأيت أن أختلس من كثرة أعمالي بُرهة، بأقرب فرصة، أنتهزها للحضور عندكم، لأقابل حضرات ناظر ومدرسي المدرسة، ويقف أخوك أمامنا لتوبيخه جهراً؛ فإن وعدنا بالإقلاع عن طيشه، والقيام بتأدية واجباته، (وكان وعده صدقا)، سامحته، وعفا الله عما سلف، وإلا فمن لم تصلحه الكرامة، أصلحه الهوان، حتى يعلم أني أبوه القادر على كبح جماحه، وقصّ جناحه، وإن غداً لناظره قريب، والسلام عليكم ورحمة الله.

(من صديق إلى آخر في شكوى الزمان)

عزيزي المحترم؛

سلام وتحية، وأشواق قلبيّة، وبعد.

فمن عرف الزمان لم يستشعر منه الأمان، والدهر أبو العجائب، ومظهر الغرائب، مطبوع على التقلّب، لا يبقي لأحد حزناً ولا ضجراً، ولا يترك له سروراً ولا فرحاً؛

رأيت الدهر مختلفاً يدور فلا حزن يدوم ولا سرور

فيالله من زمان كلّه نوب، ومن دهر كلّه كرب، ومن حياة كلّها بؤس وشقاء، وعناء يتبعه عناء، وما هي إلا تمويه وتضليل، وأضغاث أحلام، فياللعجب؛ مالي وللدهر يؤلمني وأصبر، ويؤذيني وأتحمّل، ويسوء إليّ وأتقبّل، كأن له ثارات سابقة، وترات سالفة، يريد الانتقام والقصاص، ولات حين مناص، ويعلم الله أني لم أقترف ذنباً، ولم أجن جناية، غير أني للعلم منسوب، وبالفضائل بين مواطنيّ معروف، وللخيرات فاعل، ولخدمة وطني عامل؛ فإن كان كل ذلك ذنبي، أو كان بعضه عيبي، فتبّاً له من ظالم؛ يحارب النّابغ العالم، ويسالم الغّر الخمول، والأحمق الجهول، ولكن لا عجب؛ فهذه شيمته وتلك سجيّته؛

أنا بالدهر خبيرٌ أمّة من بعد أمّه
ماصفا الدهر لشخص نصف يوم وأتّمه

وأسأله تعالى أن يقيني شرّه، ويحفظني من أهله؛ إنه على ما يشاء قدير، وبالإجابة جدير، والسلام.

(من ناظر مدرسة إلى والد يشكو له سوء سلوك ابنه)

حضرة المحترم؛

من بعد أداء السلام، بلسان الاحترام، نخبر حضرتكم، والأسف ملء

قلوبنا، أننا سنضطر إلى فصل ولدكم عن مدرستنا لتقصيره في تأدية واجباته، وعصيانه أوامر رؤسائه، وسعيه في زرع الفتن بين رفقائه، وغير ذلك مما لا يمكن احتماله في المدارس النظامية، وطالما أوقفناه على غلطاته، ونبهناه على نقائصه، وأنذرناه بمصير تماديه في غيّه وضلاله، وحذّرناه من عاقبة طيشه وإهماله، لعله يتذكّر فتنفعه الذكرى، وعبثاً ما حاولناه معه من ضروب الوعظ والإرشاد وذهبت النصائح أدراج الرياح، ولما لم يرجع إلى عقله وصوابه كتبنا إليك هذا الكتاب، ليكون فصل الخطاب، وتكون على بصيرة من أمر نجلك، ونرجو عدم المؤاخذة على هذا الكلام؛ فللضرورة أحكام، والسلام.

(من تلميذ جديد في مدرسة الجمعية يشكو حاله إلى والده)

والدي وولي نعمتي، أدامه الله وأبقاه، ورفع في الدارين علاه بكل احترام وطاعة.

أخبر سيدي الوالد، أنه مضى عليّ حين من الدهر، وأنا أتقلّب في حجر الضيم والمكروه، وكلّما همّت نفسي بإطلاعك على ما أنا عليه في هذه المدرسة، خالفتها وصرفتها عن وجهتها، رجاء تحسن الحال، إلى أن عيل صبري، ويئست من أمري، ولم أر مندوحة من الإقدام على إخبارك، فأحيطك علماً أن حالي في هذه المدرسة بلغت حدا لا طاقة لي به؛ فإن حضرات المدرسين بعد ما آنسته منهم، أول وجودي بينهم من الشفقة والمحبة، قد تحاملوا عليّ، كأنهم أبوا إلا أن يعذّبوني ويكدروا صفوي؛ إذ قلّما يفوتهم يوم دون أن يوبّخوني أو يعاقبوني، وطالما حجزوني أيام العطلة عن الذهاب إلى الرياضة مع زملائي، حتى ضاقت في وجهي الأرض بما رحبت، فأرجو المبادرة بكتابة خطاب إلى المدير ليكفّ عني أولئك الأعداء، الذين يسومونني سوء العذاب، وإلا فخروجي من تلك المدرسة أمرٌ لازم، والسلام.

(ردّ الخطاب السابق)

ولدي؛

أكتب إليك هذا، ولا يعزب عني شرح حالك، فقد كنت تلميذاً وعانيت ما تعاني الآن، ولكن ما اعتدته في المدارس السابقة من التساهل المفرط، وعدم الضبط في مسائل التعليم جعلك تشكو من مدرستك التي أنت فيها الآن، لعدم تساهلها وشدة نظامها، فكبر عليك الخضوع لقوانينها، وجمحت نفسك الأمارة بالسوء إلى الخروج منها؛

لا تحسب المجد تمراً أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ما زعمك أن أساتذتك يتحاملون عليك فوهم باطل، وهم أكثر الناس محبّة لك، وأوفرهم معرفة بما فيه خيرك ونجاحك؛ فإنهم حين دخولك المدرسة رأوك جاهلاً بقوانينها، فعذروك وأمهلوك قليلاً حتى تقلع عن خصالك الذّميمة، التي كنت عليها في المدرسة السابقة، ولما لم تزل متلبّساً بها اضطرّوا لمعالجتها قبل استحكامها، ولهم في ذلك مزيد الفضل عليك، وأسمى الشكر على ما صنعوه إليك.

وأما طلبك إرسال كتاب إلى مدير المدرسة بالغرض الذي ذكرته لي، فلا يصح من والد تربّى ويرغب في تربية ولده، كما أن خروجك من المدرسة أمر مستحيل، وأنصحك يا ولدي بالاستقامة والطاعة، والاجتهاد في دروسك حتى تنال رضا الجميع، والسلام.

(من شاكٍ جور الزمان، إلى من يؤمل فيه الخير والإحسان)

كتابي إلى السيد الجليل، والشوق يوحيه، وصروف الدهر تمليه، أشكو إليه جور أيام، ظلّها اليحموم، وطعامها الزّقوم، وشرابها الحميم، جار حكمها، وعمّ ظلمها، واشتدّ عسرها، وكثر شرّها، وصعب يسرها،

لو غشيت الحامل لوضعت، أو المرضعة لذهلت عما أرضعت؛ لم تدع موهوباً إلا سلبته، ولا غالباً إلا غلبته، ولا مجبوراً إلا كسرته، ولا حراً إلا أسرته، ولا محباً إلا أشقته، فلم أشكُ خطبها لأحد إلا وجدته الشاكي، ولا بكيت من صروفها إلا رأيته الباكي، ولا استجرت من نوائبها بمجير، إلا ألفيته المستجير؛

كلّ من لاقيت يشكو دهره ... ليت شعري هذه الدنيا لمن؟
أَلِمُثرٍ قد بلاه ماله ... يتجافى الجنب عن مهد الوسن؟
أو لمضطرّ رماه فقره ... بسهام الضّنك عن قوس الإحن؟
أم لحرّ إن يزد من علمه ... فضله يزدد له حقد الزمن؟
أم لذي جهل وقد كَنوا به ... عن بهيم فاته فضل الرّسن؟
حكمة تاهت عقول الناس في ... دركها وقصّرت كل الفطن
(كل من لاقيت يشكو دهره) ... ليت شعري أبعث الشكوى لمن؟

سُدّت السبُل إلا عنك، وانقطع الأمل إلا منك، وأقفلت أبواب الرجاء إلا من سماء معاليك؛

فإليك سيدي أشكو من لوعتين: حرب الدّهر وحرب البين، وعليك أعتمد في أُمنيّتين: فرج الكرب بالقرب وقرة العين بالعين، وإنك لفاعل ذلك بمشيئته تعالى، والسلام.

الباب الثامن

في رسائل الاستعطاف والاعتذار

(من صديق يستعطف صديقاً له)

صديقي الصفي، وأخي الوفي؛

مالي أراك هجرتني هجراً طويلاً، وما عهدت هذا منك قبلا، ونبذتني وراءك ظهرياً، وكأن شخصي لم يكن في ذاكرتك، بل عددتني في زوايا النسيان، أو في خبر كان، وعهدي بمكارم أخلاقك، وكمال آدابك، الإحسان على من أساء، والعفو عمّن أذنب، وهذه خلّة من خلالك الحسنى، وخصلة من خصالك الشريفة، وأنت خبير أنّ لكلّ عالم هفوة، ولكل جواد كبوة، ولكل سيف نبوة، وأيّ الناس ليس له عيوب، وأيّ الرجال المهذب؛

إن كان ذنبي عظيماً فإنّ صدرك أرحبُ
أقول والطّرف مغضٍ أيّ الرجال المُهذّبُ

فجُد بالقُرب والتّداني، واسمح بنيل الأماني، وألِنْ قلبك القاسي، وعُد عن التّنائي والتّناسي، وارع الودّ القديم، وأبدل شقاء صديقك بالنّعيم،

والله أسأل أن يبقيك لي من الدهر نصيباً، ويمتّعني بلقائك قريباً، بمنّه تعالى وكرمه، والسلام.

(من مرءوس إلى رئيسه يعتذر ويستعطف)

صاحب السيادة والفضل، رئيسي الأجل؛

بلغني يا مولاي ماساءني من تغيير خاطرك عليّ، مما عُزي إليّ إفكاً وزوراً من بعض زملائي، الذين ألبسوا وشايتهم ثوب الحق، حتى أنزلتها منزل الصدق، ولقد كذبوا فيما قالوه لك، ليجعلوا بيني وبينك حجاباً، ولو بحثت عن حقيقة الأمر لوجدتني خادماً أميناً، بريئاً مما نسبه إلي هؤلاء المفترون، الذين ليس لهم دأب إلا وقوع النفور بين الناس، حملهم عَلَى ذلك الحسد، الذي ملأ منهم جميع الجسد، فإذا علموا مني خيراً كفروه، أو توهموا شراً نشروه؛

إن يسمعوا سبَّةً طاروا بها فرحاً ... مني وما يسمعوا من صالح دفنوا
صُمّ إذا سمعوا خيراً ذُكرتُ به ... وإن ذُكرتُ بسوء عندهم أذِنوا

وأنت «أعزك الله» أعم من أن تعاقبني بذنب لم أجنه، وأعقل من أن تُقبِل على أمر قبل أن تتثبّته، وعلى كل حال فأنا بين يديك، وأمري منك وإليك، وأنا عبد نعمتك، وصنيع إحسانك، فإن عفوت فذلك من فضلك وكرمك، وإلا فضع سيف نقمتك، في نحر عبد نعمتك، وأنت في حلّ من دم أراقه أهله، وعلى كل حال؛ لك جميل الشكر، وتفضل بقبول الاحترام، وعاطر السلام.

(من صاحب يستعطف صاحباً له ويعتذر)

صديقي حضرة الأخ المحترم؛

بعد إهدائك عاطر السلام، وتقديم الاحترام والإعظام، أتشرّف بتذكير حضرة الأخ، أنّ الحبّ إذا كان خالصاً لله تعالى استوى القرب والبعد، لأن المعوّل على ما في القلب، من الودّ المحكم العهد، ويعلم الله أن محبّتي لك من هذا القبيل، وقلبك الطّاهر على ذلك أعدل شاهد ودليل، وإن تلك المحبّة الأكيدة في نموّ وازدياد، لا يغيّرها حصول فترة في المراسلة، استدعتها الضرورة، (وللضرورة أحكام)؛

وإني وإن وصفت لكم ولائي ... كأني طالب تحصيل حاصل
ولم يك ذلك التأخير إلّا ... لما ألقاه من همّ مواصل

ولا تظنن أيها السيد أن انقطاع رسائلي عنك كان سلوا، أو أن صداقتك عندي قد قوّضت أركانها أيدي الزمان، كلا ثم كلا، ولكن ظروفاً غير عادية، ومشاغل ضرورية، اقتضت بطئاً غير مقصود، واستدعت تقصيراً غير معهود؛

عهدي بودّك أنني ... مهما فعلت تكن غفورا
مالي أراك وقد غضب ... ت لفعل شيء لن يضيرا

فإن عذرت فذلك من مكارم أخلاقك، وإن رجعت إليّ باللاّئمة فقد جريت على غير ما تقتضيه فطرتك؛

ما توانى عن الصديق كتابي ... لسلو أو رغبة عن هواه
إنما كلما كتبت رقيما ... حرّك الذّنب مدمعي فمحاه

وختاماً تفضل بقبول عظيم تحياتي، ومنتهى إخلاصي، والسلام.

(من ولد يستعطف والده)

مولاي الوالد، أدام الله علاه، وحفظه وأبقاه؛

أرفع إلى جنابك الجليل، ما يوجبه عليّ صادق البُنُوّة وخالص المحبّة من التّبجيل والاحترام، والإكرام والإعظام، وأنا ولدك الخاضع المطيع، قد فرطت مني هفوة لم أقصدها، ونبت مني نبوة لم أتعمدها، وإني مهما اجتنيت من الذّنوب، فإني عبد نعمتك، وصنيع إحسانك، وكبير أولادك، وثمرة لبّك وفؤادك، وإن ذنبي- وإن كان عظيماً- فحلمك أعظم، ولئن كبرت جنايتي فعفوك أكبر، أو زلّت قدمي فصفحك أوسع، أوسلكت عسراً فهُدَاك أشمل، فأقلني العثار، وأسبل الستّار، ولا تردّني خائباً، لأن غضبك عليّ مما يوجب شقاوتي في الدنيا والآخرة، وأظن أنك لا ترضى بحرماني من دعاك، وطردي من رضاك؛

ذنبي إليك عظيم وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولاً فاصفح بفضلك عنه
إن لم أكن في فعالي من الكرام فكنه

وقد عجلت بالتوبة فعجلّ بالمغفرة، حتى يصلح حالي، ويطمئن بالي، وتحسن أعمالي؛

إذا ما الذنب وافى باعتذار فقابله بعفو وابتسام
ولا تحقد وإن ملّئت غيظاً فإن العفو من شيم الكرام

أدام الله لك السّعادة، ورزقك الحسنى وزيادة، والسلام.

(من طلبة يستعطفون أستاذهم)

أستاذنا العظيم، «أعزه الله»، أعلم بماله في صدورنا من منزلة رفيع مكانها، وولاء خالص ومودّة وثيق بُنيانها، فلا يؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا غير قاصدين، أو صدرت منا هفوة غير متعمّدين، وما كنّا عليها مجمعين، ولكنه الشبّاب؛ ساقنا إلى ما فعلنا مكرهين، ونحن الآن عرفنا خطأنا وفساد عملنا، فاغفر لنا زلّتنا، وتقبّل منا توبتنا؛ فأنت ذلك الأستاذ الذي هذّبتَ نفونسا، وربيت عقولنا وعلمتنا خير العلوم والمعارف، وجملتنا بجليل الفضائل واللّطائف؛

ملكتَ رقاب الناس حتى كأنهم عبيد وأنت السيّد المتفضل

فلا يسعنا، والحالة هذه، إلا إكبارك وإجلالك، وتعظيمك واحترامك؛ فقد بذلت مجهوداتك لتنفعنا، وصرفت ما في وسعك لتفيدنا، وعملت لخيرنا، وتعبت في تربيتنا، فنحن مدينون بالشكر لك، وحسن الثّناء عليك، والله شهيدنا في عرفان جميلك السابق واللاحق، وإياه نسأل أن يبقيك شمساً مشرقة في المشرقين فتستنير بضوئها كل عين بمنّه تعالى وكرمه، والسلام.

(من تلميذ يستعطف ناظر مدرسته)

حضرة رئيسي المفضال؛

أكتب إليك بقلم يثبطه الخجل، ويجريه الأمل، عالماً أن جرمي وإن ضاقت عنه المعذرة، فحلمك أوسع، وعذري وإن ضعفت حجته، فله من كرمك شفيع يشفع، وأنا من لا يحاججك عن نفسه، ولا يغالطك في جرمه، ولا يلتمس رضاك إلا من جهة عفوك، ولا يستعطفك إلاّ بالإقرار بالذنب، ولا يستميلك إلاّ بالاعتراف بالذّلة؛

ما أحسن العفو من القادر لاسيّما عن غير ذى ناصر
إن كان لي ذنب ولا ذنب لي فما له غيرك من غافر

فأسألك يا مولاي: صفحك الجميل، وعفوك الجليل؛ فإن كل ذنب وإن عظم صغير في جنب عفوك، قليل عند صفحك، فقد عودّك الله الصفح عمّن أساء، والعفو عمّن أذنب؛

رضيت منك بأخلاق قد امتزجت

بالمكرمات امتزاج الروح بالبدن

وإنه ليشق عليّ أن أراك مغضياً عني، مع أن عهدي بكرمك أستر على قصوري مني، وأسبق إلى معذرتي من نفسي، وأنت بإحقاق ما أعتقد أحقّ وأولى؛

فذاك عذري وإني بما جنيت مقرّ
فاغفر وإلا فعاقب لكنّ في العفو أجر

وتفضل يا حضرة الرئيس بقبول أجل احترامات تلميذك المخلص.

(من فتاة تعتذر إلى أمها وتستعطفها عن ذنب فعلته)

سيدتي الوالدة

إليك سلامي، وتحيتي وإكرامي، وبعد.

فأتشرف بأني أنا ابنتك الطائعة، السامعة الخاضعة، التي ترجو رضاك، وتلتمس دعاك، ولا تؤاخديني بما فرط مني بدون عمد، ولا تعاقبيني على ما صدر عنّي من غير قصد؛ ذلك ذنب استوجب غضبك، وإثمٌ استحق سخطك، وقد ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، وصغرت في

عيني الحياة، فإن رأيت أن ترحمي شبابي، فهبيني عفوك، وتفضلي عليَّ بصفحك، ولك عليّ ألاّ أقطع أمراً دون إشارتك، ولا أمضي فعلاً من غير إرادتك، وأسعى جهدي في عمل ما ترغبينه، وإنفاذ ما تريدينه، وعليّ ألاّ أخالفك، ولا أفعل ما يغضبك، وإن شاء الله تعالى ستكون هذه الهفوة آخر العثرات، وخاتمة الزلات، وسأتخذ هذه الحادثة واعظاً وزاجراً، وهادياً ومرشداً، حتى لا أقع في مثلها، ولا أسقط في شراك غيرها، أبقاك الله لنا مرشدة، آمنة مطمئنة، في صحة تامة، ونعمة عامّة، وسرور وهناء، وسعادة وصفاء.

وختاماً؛ تفضلي بقبول أجل احترامات ابنتك المخلصة.

الباب التاسع

في رسائل الرجاء والطلب

(من طالب يدعو رئيس مدرسته إلى فسحة بالقناطر الخيرية)

سيدي المفضال، ورئيسي المحبوب، أطال الله بقاه؛

كتابي إلى مولاي الجليل، ألتمس فيه تشريفه بما هو أهله، وإحلاله بالمنزل الذي يستحقه علاؤه ونبله، وبالبيئة التي أعدّها له إحسانه وفضله. وذلك ببلدتنا القناطر، التي هي على شاطئ النيل بين ذاك النّسيم العليل، والمنظر الجميل، مع رهط من إخوان الصفاء، وخلان الوفاء، الذين لا يتمّ صفوهم إلا بوجودك، وكذا المناظر؛ لا تزهو إلا بشهودك، فنرجو التفضل بحضورك، إلى مجلس يكاد يسير شوقاً إليك، ويحلّ شغفاً بين يديك.

مجلس تكثر الفوائد فيه وتلذ العيون والأسماع

فلله بهاؤه، إذا طلعت بدراً بأعلاه، وجماله إذا ظهرت غُرّة بمحياه، وما أزهره من أفق حوى نجماً تتشوق إلى بدرها، ورجالاً تتوق إلى صدرها، فإن مننت علينا بالحضور، فقد طاب لنا الأنس وتم السرور.

قامت لغيبتك الدنيا على ساق

والكأس قد أصبحت غَضْبَى على الساقي

والراح قد أقسمت ألاَّ تطيب لنا

حتى ترى بدرها الزاهي بإشراق

(من صديق إلى صديقه يدعوه إلى مجلس أنس)

حذارِ من القرطاس عند استلامه

ففيه شواظ من جوى الوجد يلهب

وما كان عمداً وضعه فيه إنما

تنفّست جمراً حينما كنت أكتب

حبيبي وقرة ناظري، ونصيبي من ذخائري، يا من أوحش العين جماله، وسكن القلب خياله، وامتلك الروح وداده، وذهب بالصبر بعاده، وقوّض سرادق الأنس فراقه، وأطلق زفرات الوجد انطلاقه.

لقد جمعتنا محاسن المصادفات، بمجلس رحب الأرجاء، جميل الصفات، قد ازيّنت سماؤه بنجوم الهناء، وازدانت أرضه بزهور الصفاء، فهل تتفضل يا مولاي بالحضور، ليطيب لنا الأنس ويتم السرور، فأنت

قطب سروره، وواسطة عقده، وقد أبت كأس أنسه إلا أن تتناوله يمناك، وأقسم غناؤه ألا يطيب حتى تعيه أذناك، ونحن لغيبتك كساري ليل غاب قمرُه، أو شجر ذهب ثمره، فإن رأيت أن تصل الواسطة بالعقد، ونحلّ بك من الحبور في جنة الخلد، شرفتنا بأسرع من الماء إلى مقره، والبرق الخاطف في ممرّه؛ حقق الله الرجاء فيك، وأدامك قرّة العين لمحبيك؛ والسلام.

(من تلميذ إلى عمه يرجوه المساعدة في تتميم دراسته)

بعد تقديم فريضة احترامي، مشفوعة بجزيل شوقي وطيب سلامي، أرفع إلى مولاي الذي ملك الرقاب بحكمته، واستولى على مجامع القلوب بنعمته.

إن الوطن العزيز ببنيه، والمرء بعشيرته التي تؤيه، والأخ بإخوانه، والكريم بإحسانه، والمسك بشذاه. والرّوض بجناه، والبحر يجود بمائه، والبدر لا يبخل بسنائه، والمال لا يدّخر إلا للنوال، والبطل لايعرف إلا في النزال، وجمال كل أمر بكماله، وفخر كل امرئ بحسن أعماله، وخيرها ما استعبد الأحرار، وخلّد في الألباب لصاحبه طيّب الآثار، وأفضل الحسنات ما عمّ، وأقرب الناس بعد الوالد العمّ؛

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهمُ فطالما استعبد الإنسان إحسان

وأنت، «أعزك الله»، مشهور في كل ناد، بمكارم الأخلاق، وبيض الأيادي، فلذا قصدت بحر جودك وكرمك، لتحيي زرعاً من زرعك؛

هو البحر من أيّ النّواحي أتيته ... فلُجّته المعروف والجود ساحله
تعوّد بسط الكف حتى لو أنه ... أراد انقباضاً لم تطعه أنامله
ولو لم تكن في كفّه غير نفسه ... لجاد بها فليتق الله سائله

وإني ألتمس من فضلك، أن تفيض عليّ سوابغ نعمك، وفواضل جودك وكرمك؛ حيث إن والدي أصبح خالي الوفاض، بادي الأنفاض، غير قادر على بذل النفقات اللازمة لإتمام دراستي، ولما كان عهدي بأنك خير مساعد، لم أنتقل إلا من والد إلى والد، أدام الله علاك، وأعطاك غاية مناك، بمنه وكرمه، والسلام.

(من والد تلميذ إلى رئيس يرجوه مساعدة ولده في توظيفه)

حضرة السيد الجليل؛

أقدم فروض احترامي لمقام سيادتك السامي، وأرفع تحيات الإخلاص والولاء، مشفوعة بواجب الشكر والثناء، وأعرض أن رافع هذا الكتاب من الأذكياء الأنجاب، مترجياً توجيه التفاتكم، وآملا من كرمكم أن تعقد آماله بنواصي مناه، حتى يفوز من حسن مسعاكم بتقريب مبتغاه، فإن أحسنت ظنه بأخيك وحققت أمله فيك، فهي مكرمة مازلت أعرفها في خلالك، وحسنة تضاف إلى كثير من حسناتك، وبذلك تقلدونني منَّة لا يسعها إلا فضلكم وجميلكم. وكل جميل تصنعه إليه، فإليّ برُّه وعليه شكره.

أسأله تعالى أن ييسّرك لليسرى، ويسرّني من أنباء هنائك بأطيب البشرى، والسلام.

(من صديق إلى صديقه يطلب منه كتاب جواهر الأدب)

سيدي المحترم، أدام الله بقاءك، وحفظ عليك نعماءك؛

بعد سعود الأوقات، المقرونة بالمسرَّات والخيرات، أكتب إليك، وفي النفس أغراض جمة، لا أذكر منها الشوق اللازم، والحنين الدائم، لعلمي بأن لي من فؤادك ترجماناً هو أبلغ إلى قلبي من قلمي، وأفصح بلاغاً من كلمي، وإنما أذكر منها حاجتي إلى كتاب جواهر الأدب، في أدبيات لغة العرب، لعلمي بأنك ممن حازوا غاية السبق في اقتناء الكتب القيمة، والمؤلفات النفيسة، وأملي فيك كما هي سجيّتك، أن تتكرم بإجابة من قصدك، وتلبية من سألك، وتبعث بهذا الكتاب إليّ، وتتفضل بالتكرم عليّ، كي أجد ضالتي، وأدرك غايتي؛

ومن حسن حظي أن تكون حوائجي بأيدي صديق مخلص في وداده

وإني على يقين، من أن السيد الجليل، رفع الله درجته، وأعلى منزلته لا يضن على صديقه بإجابة مطلبه، بمنّه تعالى وكرمه، والسلام.

الباب العاشر

في رسائل التنصُّل والتّبرؤ

(من صديق يتنصل إلى صديقه مما نسبه إليه من التقصير)

أعز إخواني، وحسنة زماني؛

لا أدري بأي عذر أعتذر إليك، ولا كيف أتنصل من تقصيري بين يديك، وما اعتذاري إلى صديق كلّما زدته تقصيراً وإهمالاً، زادني تطولاً وأفضالاً، ويعلم الله أن تقصيري ما كان شيئاً أردته، ولا كان تفريطي أمراً قصدته، ولكنها حوادث الزمان قد قصرت الجهد، وصرفت جواد العزيمة عن القصد، والصديق إذا حسّن ظنّه بصديقه، استغنى عن إطالة المعاذير، وإذا آنس منه ما يخالف الظن به، أحال الذنب فيه على المقادير، ويعلم الله أن فؤادي الذي عرفت من أمد بعيد إخلاصه وصحة مبادئه، هو أرفع من أن يخفر الذمم، وينقض العهود، وأبعد من أن يعتري محبته فتور أو خمود، وكيف يقدر أن يسلو صديقاً هو نازل في سويدائه، أو كيف يتقاعد عن إعانة أخ وفيّ لم يجد غيره نصيراً على بلوائه؛ فرفقاً يا سيدي بمملوكك الذي لا يحول عن ملك يديك، ولا يطيب له الانقياد إلا إليك؛ فقد أكثرت عليه من التقريع والتعريض، وعرّضت قلم لومك أي تعريض،

ولكن إذا كان الحبّ هو الذي مثلني إليك مقصراً، وزين لك الاجتراء عليَّ بإغراء ظن مفترى، فلا غرو أن يمثلك في عيني محسناً كريماً، كي أتخذك في هذه الحياة صديقاً حميماً، والله أسأل أن يبقيك لي من الدهر نصيباً، ويمتعني بلقائك قريباً، والسلام.

(من تلميذ إلى أبيه يتنصل مما بلغه عنه من التقصير في أعماله)

سيدي الوالد الوقور، أيد الله عزك، وأكمل سعدك ومجدك؛

بكل احترام وتعظيم، تشرّفت في صباح اليوم بكتابك الكريم، وتلقيته بما ينبغي له من التكريم، فملأ العين قرّة، والقلب مسرّة، والنفس ارتياحاً، والصدر انشراحاً، لا أكاد أبلغ آخره حتى أعود إلى أوّله، ولا أحصي مجمله، حتى أرجع إلى اجتلاء مفصّله حتى سرّني النظر مراراً إليه، كما أحزنني أخيراً اطلاعي عليه؛ فقد رماني بالتقصير في العمل، ونسب إليّ حبّ الكسل، مما وصلك طبعاً من كلام الوشاة، وبلغك من أحاديثهم الموضوعة المفتراة، فعجبت يا والدي كل العجب، أن تعير ذلك أذناً صاغية، وأنت تعرف ولدك الذي يحب الشّغل، ويقدره حق قدره، ولا يترك زمناً يضيع من غير عمل مفيد، وفعل حميد، وأثر جديد، فكيف يسند إليه تقصير، يناله منه سوء العاقبة وقبح المصير؟!

وبعدُ؛ فرجائي ألا تطيع كل حلاف مهين، هماز مشّاء بنميم، منّاع للخير معتد أثيم، وإني أعيذ نفسي برب الفلق، من شر ما خلق، ومن شر غاسق إذا وقب، ومن شر النفاثات في العقد، ومن شر حاسد إذا حسد.

الباب الحادي عشر

في رسائل العيادة

(من صديق إلى صديقه المريض)

حضرة الأخ الجليل ـ عافاك الله وشفاك، وأطال عمرك وأبقاك؛

كتابي إلى سيدي عن سلامة لا يكدّرها اعتلال، ولا يهنئها نعمة بال، والحمد لله على ما نكره، حمدَه على ما نحب، وبعد.

فما بلغني خبر مرضك حتى عزّ عليّ ذلك، وكدت أطير إليك، محمولاً بأجنحة الشوق، مدفوعاً بعوامل الإخلاص، لولا بُعد الأشخاص، ويعلم الله أن اعتلالك زاد القلب على شوقه اشتعالاً، وقبض الصدر كمداً وكدراً؛ أسأله تعالى عافية يُمْحَى بها أثر ذلك الاعتلال، ويجمع إليها سعادة الجدّ ورخاء البال، ووجَّه وفد السلامة إليك، ومسح بيد العافية عليك، وأذن في شفائك، وتلقي داءك بدوائك، وعجل بإبلالك، وأصلح من حالك، وأبقاك لصديقك المخلص الوفاء، ومحبك العظيم الولاء، والأمين على عهد الإخاء؛

فاقبـل دعائـي بإخـلاص أقدّمـه عليـك منـي سـلامٌ نشـره عطـر

الباب الثاني عشر

في رسائل التهاني

(من صاحب يهنئ صاحبه بغلام)

أخي المخلص، أدام الله لك السرور، وأفاض عليك الأنس والحبور، أهديك سلاماً وتحية، مشفوعة بأشواق قلبية، وبعد.

فبينما أنا في أسعد ساعة، فاقت الدهر جمالاً، والبدر كمالاً، إذ وردت عليَّ البشرى، بل الفرحة الكبرى، بما رزقكم الله من عظيم نواله، وأكرمكم به من كرمه وأفضاله، وهو الهلال الجديد، بل المولود السعيد، بل الذكر الحميد، فامتلأت النفوس سروراً، وأشرقت الوجوه حبوراً، ورقصت القلوب طرباً، وانشرحت الصدور والخواطر، فالشكر لله على فضله الوافر، وأسأله تعالى أن يبقيه عمراً طويلاً، ويعطيه رزقاً جزيلاً، ويجعل له شأناً جليلاً، ومستقبلاً سعيداً جميلاً، بمنّه تعالى وكرمه، والسلام.

(من صديق إلى عظيم يهنئه بعيد ميلاده)

مولاي الأمير؛

بشرى؛ فقد أنجز الإقبال وعده، ووافق الطالع سعده، وأتحفنا بهذا العيد الذي تعطر بنشره الخافقان، وأصبح بهاؤه قلادة في جيد الزمان، وبهجة تبتسم بها ثغور الرياض، ويرقص لها الطير طرباً عَلَى أشجار الغياض، مُغنياً فوق الأفنان، بفنون الألحان؛ فهكذا تكون إشارات التهاني، وإن لم تف بوصفها الألفاظ والمعاني، ولو كان لليالي لسان ينطق، أو قلم يكتب، لنطق اللسان وجرى القلم، بما لليلة ولادتك من جليل الأنس وتمام السّرور، مما لم تبلغه ليلة قبلها؛ فلازال نجمك طالعاً، وسعدك مقبلاً، ولياليك مشرقة بالسعد والهناء، متألّقة تألق البدر في كبد السماء، وياله من يوم عظيم، خيره عميم؛

يـوم أغـرّ وليلـة غـرّاء نِعـمَ الصبـاح وحبـذا الإمسـاء

والله سبحانه وتعالى يطيل بقاءك، ويديم علوّك وارتقاءك، في عافية وسرور، وأنس وحبور، رافلا في حلل القبول والإقبال، نائلاً غاية المجد ونهاية الآمال؛

حليـف المعالي في مديـح صفاته تـودّ اللآلـي أن تكـون قوافيـا
يطاوعني في مدحه اللّفظ خاضعاً وإن رمتُ مدح الغير أصبح عاصيا

(من صاحب يهنئ صاحبه بمولود له)

صديقي المحترم، أدام الله مجدك وسناك، وحفظ عزّك وعلاك، أهديك تحية الإخلاص، وأتشرف بأني أهنيك بميلاد خير مولود، أشرقت

أنوار طلعته على الوجود، في أبهى مطالع السعود؛

سـيدي؛ البِشـر والسـرور تهيّـا ودواعـي الصفـاء نادتـك هيـا
فاجْتَل البِشر من وجوه التّهاني وتمتّـع مـن السّـعود ملياً
قلـتَ يـا ربّ لا تذرنـي فـرداً حيـن ناديتـه نـداء خفيّـا
فاسـتجاب الدُّعـاء فضـلاً ومنّـا ثـم أتـاك مـن لدُنـه وليّـا

فيا له من قادم مأنوس، ابتهجت لولادته النفوس، يملأ العين قرّة، والقلب مسرّة!

بارك الله للبدر في نُوره، والرّوض في نَوره، والليث في شبله، والغيث في وبله، فقد أضاء الأنحاء محيّاه، وعطّر الأرجاء نشره ورياه، وسلّ به الدّهر نصلاً لأعدائه، واستدرّ منه رحمته لأوليائه، وتبارك شهرٌ استهلَّ بغرّته، وازدهى بطلعته، أدامه الله لوجه زمان الصفّو غُرّة، ولإنسان عين المجد قُرة بمنّه تعالى وكرمه، والسلام.

(من صديق يهنئ صديقاً بمولود له)

صديقي المخلص أدام الله علاك، وحفظك وأبقاك؛

أهديك أزكى سلام، وأقدّم أجل احترام وإعظام، وبعد.

فقد تشرّفت وسُرِرت، وفرِحت كثيراً بما رُزقت، وابتسمت الثغور لهذه البشرى، وفرحت القلوب بهذه النعمة الكبرى؛

وفـت بشـرى سـرورك بالوعـود وأشـرق وجـه بحلـك فـي الوجـود
هـلال هـلّ فـي فلـك المعالـي ولكـن حـلّ فـي سـعد السّـعود

فيا له من هلال تهلّل لقدومه وجه الوجود! ويا له من يوم مشهود جاء فيه خير مولود!

فـدام ودمـت يـاذا المجـد حتـى تـراه بهالـة الإقبـال بـدرا
ولا زالـت توافيـك التّهانـي بـه تتـرى وتشـرح منـك صـدرا

فنهديك الهناء بميلاده، ونرجوه تعالى أن يريك الكثير من أولاده؛

هنئـت بالطفـل الـذي أشـرقت بوجهـه ليلـة ميـلاده
فالله يبقيـك لـه سـالماً حتـى تـرى أولاد أولاده

أسأله تعالى أن يجعله من النّجباء الأبرار، ويريك منه ما تحب وتختار، بمنه تعالى وكرمه، والسلام.

(رد الخطاب السابق)

صديقي الحميم؛ لا عدمتك، وحفظ ربّي مروءتك.

سلام الله وتحيّاته إليك، وأسأله تعالى أن يديم نعمه عليك، وبعد.

فقد تشرفت يا عزيزي بمكتوبك السعيد، الذي تفضلت به لتهنئتي بالمولود الجديد، فقابلت ذلك منك بجميل الشكر لك، وإنني لو ملكت زمام البيان، وفُقت به على بديع الزّمان، ما قدرت أن أفي بواجب شكري وامتناني، بما تكرمت به من التهاني؛

بتهانيـك قـد حُظيـت فشـكراً لـك يـا أيهـا الصديـق الممجـد
دمـتَ مـع كل مـن تحـب بخيـر وسـرور فـي ظـلّ عـزّ مخلّـد

أسأله تعالى أن يديم مسرّتك، ويجزيك عن محبك جزاء موفوراً، ويريك

من ذريّة الأشبال أهلًّة وبدوراً،

ودمت قرير العين منهم بغبطة وكان لهم ربّ البريّة واقيا

(تهنئة أخرى بمولود)

هلّ بدر التّهاني فأورث القلوب انشراح الصدور، وسطعت شمس البدر في هذا اليوم فأشرقت الليالي وعمّ السرور؛

تجلّى النور في أفق المعالي وحلّ البدر في أوج الكمال
وأبدى الدّهر مولوداً زكيّاً تلوح عليه آيات الجلال
فألبسنا من الأفراح تاجاً وكلله بأنواع اللآلي

أدامك الله في عزّ وهناء، وكمال صحة وصفاء، والسلام.

(تهنئة أخرى بمولود)

أيها الصديق الكريم؛

هُنئت بالنّجل السعيد فقد أتى وفق المراد وأنت وفق مراده
فالله يبقيه ويبقيكم له حتى ترى الأولاد من أولاده

مرحباً بالمولود الجديد، ذي الطالع السعيد، ومجلب الخير المزيد، من به أشرقت شمس التهاني في سماء السرور، وبشائر قدومه قد ملأت القلوب بالحبور؛

شمس التهاني أشرقت والبشر حيَّى بالسرور

فيا له من مولود تلوح عليه سيما المجد، وتتجاذبه أطراف العز والسعد،

جعل الله أيامه أيام بشر وهناء، وسرور وصفاء، وأن يبقيك له، ويديمه محفوظاً بالعزّ والإقبال، ويريك من نسله بدور جمال مشرقة في فلك الفضل والكمال، بمنّه تعالى وكرمه، والسلام.

(تهنئة أخرى بمولود)

سيدي الأخ المحترم؛

نِعمُ الله عليك جليلة، وعطاياه لك جزيلة، وفضله عليك متوالٍ، على ممرّ الأيام والليالي، فمن ضمن ما أنعم عليك به وتفضّل، أنه أجاب دعاءك وتقبَّل، ووهب لك هذا المولود، المتنقل نجمه في بروج السعود، في زمن حميد، ومكان سعيد؛

أقبل البشر ووّلى كلُّ همّ وعناء
عندما المولود وافى لابساً ثوب البهاء

أدِمْه يارب محروساً بعين عنايتك، واحفظه مشمولاً برعايتك، وأشْرِق شمسه ساطعة على الآفاق، ليملأ ذكره السَّبع الطباق، وهبه من لدنك عقلاً وعلماً، وحكمة وأدباً وحلماً؛

فدام ودمت ياذا المجد حتى تراه بهالة الإقبال بدرا
ولا زالت توافيك التهاني به تترى وتشرح منك صدرا

(من سيدة إلى صديقتها تهنيها بمولودة)

حبيبتي حضرة السيدة...

حياك الله تحية مشتاقة لتلك الذات، المجمّلة بمحاسن الصفات، وبعد.

فقد وافتني البشرى، بما منحك الله من المولودة السعيدة، القادمة عليك بمشيئته تعالى بالأرزاق المزيدة، فأي لسان يمكنه الإفصاح عما خامر قلبي من السرور، وملأ فؤادي بالحبور؛

لـك الهنـاء بهـا مولـودة بهـرت شمس الضحى وأتت بالسعد تشتمل

فبشرى لك بخيرة النساء، ومربّية الأبناء، ووالدة الشبان محبّي الأوطان؛

ولـو كان النسـاء كمثـل هـذه لفُضّلـت النسـاء علـى الرجـال
فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكيـر فخـرٌ للهـلال

ولما اتّصل بي خبر هذه البشرى، والموهبة الجزيلة الكبرى سجدت لله تعالى شكراً، وحمدته على سلامتك، وعطيّته لك هذه النجلة السعيدة، والتحفة الفريدة، والطلعة الجديدة، لازالت الأيام بها باسمة، والأعياد بمحياها واسمة؛ فهي بدر شمس الكمال، ونجم السعود والإقبال، والدرة المكنونة، والغُرة الميمونة، أسأله تعالى أن يجعل الخيرات متواترة عليك، والمسرّات متوافرة لديك، وسلام الله عليك، من صديقتك المخلصة إليك.

(من صديق إلى صديقه يهنيه بنيل الشهادة العالية)

صديقي الفاضل، حرس الله عزّك، وواصل سعدك؛

سلاماً وتحية، وأشواق قلبية، وبعد.

فهذا كتابي إليك والفرح يوحيه، ودواعي المسرّة تمليه، والبشر حروف مبانيه والحبور غواني معانيه، كتاب من يتشرّف بتقديم التهاني، لمن نال الشهادة بين الإخوان، ولبس تاج النجاح بين الأقران، فلله الشكر على ما

منحك من نعمه الوافرة، وآلائه الفاخرة، وأعطى القوس باريها، وأسكن الدار بانيها، ولئن جاءت المعالي إليك، وعوّلت الفضائل عليك، فقد أتت إليك تجرُّ أذيالها، منقادة إليك حورها وخرائدها، بحللها وحلاها، ولم تصلح إلا لك ولم تصلح إلا لها، ولا عجب في ذلك، ولا حجر على فضل المالك؛ فقد حنت المعالي لأوطانها، وتعلّقت أهداب العيون بأجفانها، وقد أوتيت من كل شيء سبباً، كمالاً وأدباً، ومالاً ونسباً، وفضلاً وحسباً، وفصاحة لسان، أعجزت سحبان، فسبحان الواهب الرحمن، والسلام.

(من أستاذ يهنئ والداً بنيل ولده الشهادة العالِمِية)

حضرة السيد الجليل؛

أهديك سلامي، وأخصك بفائق احترامي، وبعد.

فإن أجمل ما يقرّ النّواظر، وأبهج ما يسر الخواطر، وأعجب ما يشرح الصدور، ويسرّ الأكابر والصدور، ويجلي الأنس والحبور، أنباء نجاح الأبناء، وإن سروري بنجاح نجلك، أعظم من أن يصفه لساني، وأجلّ من أن يسطره بناني، ولعمري إن هذا لقليل على مثل ولدك، المتفاني في حبك وطاعة أمرك، ويعلم الله أن إحرازه الشهادة عن كفاءة واستحقاق، لا بطريق الصّدفة والاتفاق؛ فإنه طالما أظهر كثيراً من الصبر والجلد في المثابرة على العمل، مواصلاً ليله بنهاره، لا تأخذه سنة عن الانكباب على دروسه، لهذا بادرت بتقديم تهنئتي بنجاحه العظيم، سائلاً المولى الكريم، أن يمتّعه بما وهب، ويعليه أعلى الرتب، فتطيب نفسه بذلك، وتقرّ عيناه، ويبلغ بمنّه وكرمه مناه، والسلام.

(من تلميذ إلى آخر يهنيه بنيل الشهادة الثانوية)

صديقي الحميم؛

سلام الله وتحياته، ورضوانه وبركاته، وبعد.

فأهنيك بما نلت من رفعة ومجد، وسؤدد وفخر وسعد، مما جعلك واسطة عقد إخوانك، والكوكب المضيء بين أصحابك؛

بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا وطالع السعد في أفق العلا صعدا

فيا قلب أبشر؛ فقد غنّت لديك غواني السرور، وترنّمت إليك برنات الفرح ألسن عيدان الحبور، وعطفت عليك عواطف التهاني، وبادرتك بوادر الأماني.

ويا فؤاد افرح من أجل إحرازك الشهادة، التي توسلك إلى باب الخير والسعادة، أدام الله لك هذه الهمة، وأبقى لك هذا العزم، وجعلك فينا قبساً نهتدي بك، ونسير على ضوئك، والسلام.

(تهنئة أخرى بنيل الشهادة الابتدائية)

أخي المحبوب، أدام الله حضرتك، وأراني عن قريب طلعتك؛

لقد بلغني ما شرح صدري، وملأ فؤادي سروراً، وزادني بهجة وحبوراً، حيث وصلت إلى مراتب السعادة، وفزت بنيل الشهادة، جزاء ما عانيته من الجد والاجتهاد، والمثابرة على تحصيل العلوم والمعارف، وبذل مجهوداتك في سبيل تعلمك، والتيقظ الشديد إلى طريق تقدمك، فمن جدّ وجد، ومن تعب صغيراً، استراح كبيراً، فأهنيك بهذا النجاح،

وأبشرك بالفوز والفلاح، طالباً من الله أن يحقق فيك الآمال، ويلبسك حلل الكمال، والسلام.

(من تلميذ إلى والده يهنيه برأس السنة الهجرية)

سيدي الوالد الأفخم، أدام الله نصحك، ولا حرمنا فضلك ولطفك

بعد إهداء ما يليق بمقامك السامي، من التعظيم وتقديم أزكى سلامي، أرفع تهنئتي إلى حضرتك، بإقبال هذه السنة الجديدة التي في طالعها جوامع الخيرات السعيدة، فالله سبحانه وتعالى يوليك أعظم بركاتها، ويمنحك من سائر خيراتها، وجعلها عليكم من أسعد الأعوام، وأعاد عليكم كثيراً من أمثالها، وأنتم حائزون من السرور غاية الكمال؛

أهنئ بكم عاماً يعود بصفوكم ... جليلاً مدى الأعوام وهو سعيدُ
فدوموا بخير الأنس والعز مازهاً ... لديكم بألطاف النفائس عيدُ

(رد الخطاب السابق)

ولدي العزيز؛

بيد الابتهاج والتكريم، تناولت منكم خير رقيم، مطرّزاً بلآلئ البديع، موشحاً بأزهار الربيع، فألفيته أعذب من الماء وأوقع في النفس من بدائع الحكماء، مهنئاً لي بهذا العام الذي سرّني إقباله، وأشرق في طالع السعود هلاله، أعاده الله عليك وعلى من تحبه بالصحة والعافية، والنعم الوافية، مقدّماً لك خالص شكري وامتناني، على ما تفضلت به عليَّ من التهاني، لازلت ملحوظاً بعين الاعتبار، عالي الهمة جليل المقدار، سباقاً إلى الفضائل، موصوفاً بمكارم الأخلاق ولطف الشمائل، والسلام.

(من صديق إلى صديقه يهنيه بالعام الجديد)

حضرة صديقي الفاضل، المتحلّي بأحسن الشمائل، أدام الله علاه؛

أهديك سلاماً طاب نشره، وفاح في روض المحبة زهرة، وبعد.

فقد أشرقت شمس هذا العام على الوجود، وعمَّت الأكوان بأنوار الهناء والسعود، فوجب علي المبادرة بتقديم عريضة التهاني، بإقبال هذا العام الجديد، والحول المبارك السعيد، قياماً بحقوق الإخاء وصدق الوفاء، جعل الله إقباله عليكم وعلى جميع الأسرة مقروناً بالخيرات، وجعل طالعه بشيراً باليمن والبركات، ومنحكم العمر المديد، والخير المزيد، والعيش الرغيد، بمنه تعالى وكرمه، والسلام.

(رد الخطاب السابق)

سيدي المحترم؛

تحية وسلاماً، واحتراماً وإعظاماً، وبعد.

فقد تشرفت بتهنئتك، التي دلّت على إخلاص مودتك، وطهارة طويتك، فتناولتها بيد الفرح والسرور، والانشراح والحبور، مقدماً إلى حضرتك آيات شكري وامتناني، على عريضة التهاني، التي شرحت صدري؛ شرح الله صدرك، وتولّى عني مكافأتك وأجرك، وأقرّ عينك وسرّ خاطرك؛

بالعـام هنأتمونـي وبالكمـال اتّصفتـم
فصـرت أشـكر منكـم فضـلاً بـه قـد سـبقتم

(من تلميذة تهنئ والدتها برأس السنة الجديدة)

أمّـاه! ذا عـامٌ جديـد قـد أتـى متمثّـلاً لـك بالثنـاء سـرورا
كيمـا يمثـل بـدر عـزّك للمـلا ويكـون فضلـك دائمـاً موفـورا

بودّي لو أُعطيت من فصاحة اللسان، وأفيض عليّ من قوّة البيان، وتحوّلت لي مياه البحار مدادا، وأغصان الأشجار أقلامًا، فأفصحت عمّا يكنّه قلبي نحوك من إخلاص المحبّة، وشدّة تعلّقي بالمودّة، على أني لو أُوتيتُ ذلك كلَّه، مَا كنت إلاَ مقصرة في حقّ جنابك، معترفة بالعجز عن القيام بواجب التهنئة، والشكر لفضلك، والله سبحانه وتعالى يحفظ لنا شريف وجودك، ويطلع في سماء الإقبال بدر سعودك، رافلة في حلّة العافية والسرور، متمتّعة برؤية أولادك الذين يتمنّون لك طول البقاء، ويعتقدون أن وجودك بينهم أعظم الهناء والصفاء، والسلام.

(ردّ الخطاب السابق)

بُنيّتي المحبوبة؛ لا عدمتك

ما أشرقت شمس هذا العام، كثير الخير والإنعام، إلا وكتابك بين أيدينا، يبشرنا ويهنّينا، فما كان أشدّ ابتهاجنا بقراءته، وما أعظم ارتياح إخوتك وأخواتك لرؤيته، وحمدنا الله على كمال صحتك، وشكرنا لك رِقّة تهنئتك، وأثنينا على مكارم أخلاقك، ومحاسن أفعالك، مما يبشّرنا بحسن مستقبلك، وبلوغ أملك، بعنايته تعالى وتوفيقه.

بالعـام وافتنـي تهانيـك التـي راقـت ومثلـك فضلهـا لا ينكـر
لازلـتِ فـي أمثالـه تلقـي الهنـا وعليـكِ ألويـة المسـرّة تنشـر

(من قرينة تهنّئ قرينها بأول العام الهجري)

عزيزي: لقد وافاك عام مبارك — على سعدك السّامي كمال جماله
فدم أنت والأهل الكرام بصحّة — وخير وإسعاد لألف مثاله

ولو أعارني سحبان بيانه، وبديع الزمان بلاغته، وابن مُقلةَ بنانه، وعبدالحميد فصاحته، لنظمت عقود درّ، تهنئة لحضرتك بهذا العام الجديد، المقبل عليك بالخير السعيد.

كتب البنان مهنئًا — دامَ القرين لكل عام
لازالت الأعوام تز — هو باجتلاك على الدوام

على أني لو ملكت كل ذلك، لا أفي بواجب شكر ما هنالك، فإنه ليس لنعمة الحياة السَّعيدة نظير تنطق به الأفواه، ولكنّي أجعل الاعتراف بالتّقصير عما يجب لك، تقرُّبًا أتوسل به إلى رضاك، وأسأله تعالى أن يزيد في رُقيك، ويرفع من مقامك، وينيلك ما تبتغي، ويمنحك ما ترجو، مع كمال الصحة وتمام العافية.

(رد الخطاب السابق)

حضرة السيدة المصونة، قرينتي المحترمة؛

أهديك تحيَّة الإخلاص، وبعد.

ففي ساعة تتزين بها الساعات، وتُذكر بالسرور على مدى الأوقات، أشرقت شمس كتابك اللَّطيف، الحاوي اللفظ البديع، والمعنى الظريف، فقرأت منه الدرَّ في سطور، ورأيت فيه الدَّراري على صفحة من النُّور،

ومن غرائب آياته المعجزة تفضلك بالمكاتبة إليَّ، وسبقك بالمعايدة عليَّ، وكان ذلك منك تفضلًا، وإحسانًا وتطوُّلًا، لا أفي بشكري لك على مكارم أخلاقك، والثناء على كمال آدابك، وكل عام وحضرتك وجميع الأسرة بخير وهناء، أعاده الله عليك أعوامًا يواليها الصفاء، وأسأله تعالى أن يمنّ علينا بقرب اللقاء، ودمت لمن يعد نفسه سعيدًا إذا تفضلت بقبول مرسوم الهناء.

(من تلميذة إلى معلمتها تهنئها برأس السنة)

سيّدتي وحبيبتي، حضرة معلمتي؛

أهديك من صميم فؤادي تحية الإخلاص، مشفوعة بواجب الاحترام، وعاطر السَّلام، على تلك الذَّات، المجمّلة بحسن الصفات، وبعد.

فهذا يوم نشر البشر فيه أعلامه، وأضاءت الدنيا، وازدانت الآفاق، ببهجة هذا العام الجديد، ذي الطالع السعيد، المحفوف بالبركات والهناء، والسرور والصفاء.

عام سعيد بدت في الكون بهجته ... يهدي علاك المعالي والكمالات
أعاده الله بالإقبال مبتسمًا ... وكل عام وأنتم بالمسرات

فلهذا بادرت بتقديم تهنئتي إليك، بذاك اللسان الذي أطلقه علمك، وذلك الجَنان الذي قوَّمه أدبك، وأنتهز هذه الفرصة لأشكر لك على ما بي من العلوم والمعارف، التي هي ثمرة أتعابك وحسنة من حسناتك، وباكورة من روضة آدابك، أدامك الله زينة السيَّدات، وجعل كل حياتك حليفة المسرات، وأعاد عليك أمثال أمثاله بالخيرات والبركات، والسلام.

(من صديق إلى صديقه يهنئه بإقبال شهر رمضان المبارك)

بهجة القلب وسروره، وضياء العين ونوره.

أهديك تحية الإخلاص، وبعد.

فقد أقبل على حضرتك شهر الصيام، بالهناء والصفاء والإكرام.

فأهنيك بإقباله المبارك؛ منحك الله فيه ما ترجوه من صالح الأعمال، المقرونة بأفضل القبول، وأعانك على طاعتك كما هو المأمول.

رمضان أضحى مقبلا فيه اغتنم أجر الصيام
وهنَاؤه لك قائلًا بالخير تحيى كلَّ عام

وإني أرفع إليك خالص التهنئة من صميم الفؤاد، وأضرع إليه تعالى أن يديمك لأمثاله، ممتعًا بالعزّ والارتقاء، راقيًا سلم المجد والعلاء، رافلا في حلل العافية والصفاء.

هنيئًا سيّدي رمضانُ وافى وأقبل ذلك الشَّهر السَّعيدُ
فدم واسلم وعِش أبدًا تُهنّا بمثل العام واحْظَ بما تُريد

لازالت ثغور مجدك بواسم، ولابرحت فرحةً بعلاك الأعياد والمواسم، وتفضل بقبول عظيم الاحترام، وعاطر السلام.

(من صاحب إلى صاحبه يهنيه بحلول شهر رمضان المعظم)

رمضان أقبل بالهنا فلمثله دم في سلام
فاهنأ وصُمْه فائزًا أحياك ربي كلَّ عام

أزف إليك أيها الصديق غواني التهاني بحلول شهر الصوم الذي مدَّ ظلاله، وأشرق في سماء الكون هلاله.

بشـهر الصَّـوم يـا خِلّـي تهنّـا وعـش بيـن المـلا عيشًـا هنيّـا
وأبقـاك الإلـه لـكلّ عـام وأنـت بصحـة مـا دمـتَ حيّـا

تقبل الله فيه صيامك، وأسعد به أيامك، وأعاد عليك أمثال أمثاله، وساق إليك سعادة إهلاله، ومنحك فيه الخير والإسعاد، وبلغك في الدَّارين غاية المراد.

فشـهر الصَّـوم أقبـل بالتَّهانـي ونجـم السَّـعد أشـرق بالأمانـي
أعـاد اللـه أعوامًـا عليكـم وأسـعد وقتكـم فـي كلّ آن

والله سبحانه وتعالى يطيل بقاءك، ويديم عُلوك وارتقاءك في عافية وسرور، وأنس وحبور، رافلا في حلل القبول والإقبال، نائلًا غاية المسؤول ونهاية الآمال، والسلام.

(من مرءوس يهنّي بعيد الفطر رئيسه الأعظم)

يا صاحب المعالي؛ أأُهنّيك بالعيد، أم أُهنّيه بطالعك السَّعيد؟ كلا كما آية فرح وسرور، ونور على نور، وشرحٌ للصدور، غير أنّ العيد غُرّة شهر، وأنت يا مولاي غُرّة دهر، وانتظاره يوم من عام، وانتظارك في كل لحظة على الدّوام؛

العيد فـي العـام يـومٌ عُمـر عَودته وأنـت عيـدٌ مَـدَى الأيـام لـم تـزل

فسعدُ الأمّة بسعدك، ومجدُها بمجدك، وسرورها بدوامك، وعزّها

بطول أيامك.

سعدت بغُـرَّة وجهـك الأيّـام وتزيّنـت ببقائـك الأعـوامُ

وإني لأعجب ممَّنْ يُهنّيك بعيد الفطر، ولا يُهنّي بعُلاك أهل القُطر!

أهنّـي بكـم عيدًا يعـود بصفوكـم جليـلًا مـدى الأعـوام وهـو سـعيد
فدومـوا بخير الأنس والعـزّ ما زها لديكـم بألطـاف المسـرّة عيـد

متّع الله الأيّام بوجودك، والأعياد بسعودك، وجعل الخير براحتك، والأمل بساحتك، بمنّه تعالى وكرمه، والسلام.

(من تلميذ يهنّئ أستاذه بالعيد الأكبر)

مولاي الأستاذ الجليل؛

أهديك سلامي، وأخصك بفائق احترامي، وبعدُ.

فأنت أعزك الله أعلم بعجزي عن أداء الواجب إليك، كعهدك بي في ملازمة الثناء عليك، لمالك عليّ من عظيم الآلاء، التي ليس لآثارها انتهاء، فما أنا إلا صنيعتك، وحسنة من حسناتك، تفضلْت عليّ بتقويم أوَدي ببديع الحكمة، وهذّبت نفسي على حبّ الفضيلة والنّشاط والهمة، ومددتَ عليّ ظلال أياديك المورقة، وأطلعت على عيون عقلي شمس معارفك المشرقة، فشرحت صدري وأزلت عنه ظلمة الجهل، وأنعمت عليّ بنعمة العلم والفضل.

لهذا أرجو قبول شكري لك وامتناني، مصحوبًا بأجمل آيات التّهاني،

بهذا العيد السّعيد، المقبل عليك بالخير المزيد، سائلًا المولى تبارك وتعالى أن يديم عليّ رضاك، ويبلغك من الطيّبات خير مناك، ويعيد عليك أمثاله، وأنت في أكمل صفاء وأهنأ بال، وأحسن حال، وأرغد عيش، وأسعد الأوقات.

فهذا العيد قد أبدى التّهاني ... إلى أستاذنا البطل السَّعيد
يربّي الطالبين بكل علم ... وآداب مع الخُلُق الحميد
فلا زلت الملاذ لكل شهم ... مدى الأيام في عزّ مديد

(من تلميذ يهنِّي زميله بعيد الفطر)

صديقي المحترم، دامت محبَّتك، ولا عدمت مروءتك؛ إن أعظم أيام السَّنة سُرورًا، وأحسنها بهجة وحبورًا، وأبهاها وأجملها، وأسناها وأكملها، هو يوم العيد السَّعيد، المُقبل عليك بالخير المزيد، والعمر المديد، والعيش الرغيد؛

لك الهناء بعيد سعد طالعه ... كمثل سعدك لكن فُقْتَه شرفا
فدُم مع الأهل والأحباب مبتهجًا ... لمثل أمثاله في صحة وصفا

وإني أسأل الله تعالى أن يُعيده عليك مقرونًا بالخيرات، مصحوبًا بالبركات والمسرّات، ولا زلت تستقبل عامًا بعد عام رافلا في حُلل الإنعام، مُتمتّعًا بكمال الأفراح، بكلّ صفو وانشراح؛

تهنئك السعَادة كلّ عيد ... بإقبال وقد رُغم الحسودُ
ولازالت لك الأيام بيضًا ... وأيام الّذي عاداك سودُ

(ردّ الخطاب السابق)

بتهانيـك قـد حُظيـت فشـكرًا ... لـك يـا أيهـا الصّديـق الممجـدّ
دمـتَ مـع كلّ مـن تحـبّ بخيـر ... وسـرور فـي ظـل عـزّ مخلّـد

صديقي الحميم؛ حفظك ربّي وأبقاك، وأنالك مناك بيد الابتهاج والسّرور، أُقابل تهنئتك لي بالعيد بجميل شكري وامتناني، وأرفع إلى ذاتك المحبوبة أجملَ التّهاني.

لذاتـك عيـد الفطـر قـد لاح نـوره ... فأضحـت بـه الأيّـام باسـمة الثّغـر
فـدم رافـلا بالعـزّ والسّـعد عائـدًا ... لأمثالـه فـي كلّ عـام مـدى الدَّهر

لازالت الأيام تستقبلك بصفائها، والأعياد تحفّك بهنائها.

جعل الله حياتك للدنيا غُرّة، وفخرك لتاج التَّهاني دُرّة، ومتّعك بالعزّ والهناء، وسربلك بسربال المجد والعَلياء، مادامت مودّتنا موثوقة العُرى مُحكمة البناء.

دُم فـي سـرورك سـيّدي ... وافـرح بعيـدك كلّ عـام
فلـك التّهانـي أقبلـت ... بـدوام عـزّك، والسّـلام

(من أخ إلى أخيه يهنّيه بعيد النحر)

أخي؛ «منحك الله سعادة تبلغ بها مرامك، وتستقبل بالمسرّات أيامك، وتتشرف بها شهورك وأعوامك.

تهنّـأ بعيـد النَّحـر وابـقَ ممُتّعًـا ... بأمثالـه سـامي العـلا نافـذ الأمـر
تقلّدنـا منـه قلائـد أنعُـمٍ ... وأحسن ما تبدو القلائد في النّحر

لقد أشرقت أنوار العيد الأكبر على الوجود، وتجلّت على الأكوان مظاهر المسرَّات والسّعود، فأتشرَّف برفع أجمل التَّهاني بإقباله، سائلًا المولى تبارك وتعالى أن يعيدك لأمثال أمثاله، ممتعًا بكمال الصّحة والصفاء، في يُسر ورخاء، وأن يلحظك بعين العناية، ويحوطك بنور الرعاية، وكل عام وحضرتك ومن تحبون بخير وسرور، وهناء وحبور؛

عيدٌ زها وأتى إليكم رافلًا ... في حلة العيش الهنيّ السامي
فتمتَّعوا فيه بصفو مسرَّة ... أبقاكمُ الله مدى الأعوام

وتقبل من صديقك هذه التَّهاني؛ لازلت كعبة الآمال والأماني، بمنه تعالى وكرمه، والسلام.

(من صاحب إلى صاحبه يهنئه برتبة)

سيدي الجليل؛ أدام الله معاليك، وأرغم أنف أعاديك؛

بيد الابتهاج تلقيت البشرى التي ملأت قلبي سرورًا وشرحت صدري فرحًا وحبورًا، منبئة بأن مولانا «وليّ النّعم» حباك وأعطاك ـ الرتبة الأولى ومنحها إياك،

رُقيت المعالي بلا عائق ... ونلت المرام بجدّ عظيم
فدم في علاء وفي رفعة ... وعش في سرور وصفو عميم

فاهنأ أيها الصديق؛ فقد أتتك المعالي طائعة، والرُّتب خاضعة؛ وإنك لحقيق بما نلت، أهل لما حزت؛ فأنت ذو الأخلاقِ الفاضلة الكريمة، والشيم العالية الشريفة

أبشر برُتبتك العليا التي شرفت ... قد أقبلت بتوالي البشر والفرح

على أن سيدي أرفع قدرًا، وأنبه ذكرًا، من أن أهنئه برتبة وإن جلت وجلَّ أمرها، وعظمت وعظم قدرها، لأن الواجب تهنئة المراتب بكمال عدله، والناس بمحمود فعله.

وانـي لمستغن عـن النـاس كلهـم ... بمدحـك يـا خيـر الأكابـر منتمـا
إذا ببشـير السـعد وافـى مخبـرًا ... بأنـك أصبحـت الأميـر المعظمـا
بنيلـك أسـمى رتبـة لا ينالهـا ... عظيـم ولـو كان الوجيـه المقدَّمـا
لئـن هنأتـك النـاس فيهـا فإننـي ... على عكسهم يا لابس المجد معلما
أهنئهـا إذا أدركتـك لأنهـا ... أصابـت أبـرَّ النـاس فيهـا وأعلمـا

غرس الله لك المحبة في قلوب رعيتك، ووفقك للسّداد والعدل في سيرتك، وسلام الله عليك، ودمت لأخيك المخلص.

(من صديق إلى صديقه يهنّيه بمنصب)

صديقـي الحميـم، دامـت معاليـك ... وأرغـم اللـه أنـف شـانيك
ومـا ينبغـي أن تُهنّـا بـه ... ولكـن يُهنّـا بـك المنصـب

بيد الفرح تلقّيت البشرى التي ملأت القلب سرورًا، والفؤاد بهجة وحبورًا، من توجيه ذلك المنصب العظيم، إلى جنابك الفخيم، وإنك لجدير بما نلت، حقيق بما حزت، أهل لما أخذت.

لـك الهنـاء بمـا قـد نلتَ من شـرف ... وافـت بشـائره بالقلـب فابتهجـا

ومثلك من إذا نال منصبًا حلاه، وازدهى جيدك بحلاه؛ فلم يَصلح إلا لك، ولم تصلح إلا له.

أُعطِيت القوسُ مَنْ براها وبُوِّئ الدَّارُ مَنْ بناها
فما سواه لها بكفءٍ وليس كفء له سواها

وإني أهنّئ بك المنصب الذي وليته، ولا أهنئك به، لأنك تورده مورد الصَّواب، وتصدره مصدر فصل الخطاب، وتؤيّده بالقسط؛ فهو بك أولى، وأنت به أحرى؛

وما أنتمُ ممّنْ يُهنا بمنصب ولكن بكم حقا تُهنّا المناصبُ

متَّعك الله بما وهب، ورفع معاليك إلى أعلى الرُّتب، حتى تقر عيناك، وتبلغ بمشيئته تعالى مناك، والسلام.

(من أخ إلى أخيه يهنيه ببراءته من تهمة)

شقيق الروح والفؤاد، وجه الله لك الخير والسداد؛ لقد سرَّني أن الدَّهر تاب إليك من ذنبه، وطلب المسالمة بعد إيذانه بحربه، فانقشعت سحائب المِحن، وانطفأت نار الإحَن وهذا هو حال الأبرياء، وعادة الدهر مع الأمناء، إذا أخطأ فجنى عليهم، رجع فاعتذر إليهم، فيستوفون في الحالتين أجر المحنة، والقيام بشكر النّعمة، والحمد لله الذي منّ بخلاصك من تلك الشدة العظيمة، ونجاك من تلك التُّهم الوخيمة، وعوّدك ما كنت عليه من المهابة والاحترام، والتعظيم والإكرام؛ على أنك ما زلت مُبرَّأً من كل رذيلة، مخصوصًا بكل فضيلة، فلا تحزن على ما أصابك، ولا تبتئس بما حلَّ بك وانتابك، واستقبل صفو الزمان، وتلقَّه بالسلام والأمان.

الله يبقيك كما تشتهي ترقى إلى أوج العلا والكمال

(من صديق إلى آخر يهنيه بظهور براءته)

صديقي المخلص؛

في أيمن طالع الأوقات، وفي أسعد الساعات، تلقّيت بمزيد السرور، خبر تخلصك من تلك التهمة المختلقة، وبراءتك من لك الفرية المصطنعة، التي رماك بها الدهر الغادر، الذي لا يختار لنكباته إلا سيد القوم الأكابر، ولكن أبى الله إلا أن يحقّ الحق ويزهق الباطل، وأراد أن تكون تلك الداهية شهادة لفضلك، وبرهانًا على شرف مبدئك، وقدر نبلك، كما يقول القائل:

وإذا أتتني مذمة من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

وأسأله تعالى أن يصون شخصك الكريم من النوائب، ويحفظك من جميع المصائب.

(من صاحب يهنّئ صاحبه بشفائه من مرضه)

عزيزي المحترم؛

نظر الله إليك بعين عنايته، وحفظك بأستار وقايته، وألبسك من العافية خير لباس، وأذهب عنك كل بَاس، وشرح منّا بسلامتك الصّدور، ومنحنا بها كمال الصفّاء والسّرور؛

ولاح فجر التَّهاني بالبشائر إذ حيّت فأحيت ربوع الفضل والأدب

وبعد؛ فشفاؤك يا صديقي كان ابتهاجًا للنفوس، وبردًا وسلامًا على القلوب، ومحوًا للهموم والكروب.

فلك الهناء بصحة ميمونة أبدًا على مرّ الدهور تدوم

فالحمد لله الذي أزال العناء، ومنّ عليك بالشفاء، فلهذا وجب عليّ تقديم الهناء، بدفع ذلك العرض الذي كان ملمًا بساحتك.

أدام الله عليك الصحة والعافية، وحرس مهجتك من كل سوء ومكروه، ولا أراك إلا الخير والسلامة، في الرحيل والإقامة، ودمت من السقام لنا سليما على طول المدى ولك السلام.

حفظك الله وأبقاك، وحرسك وتولاّك، وحياك في أُخراك ودنياك.

(من تلميذ يهنئ زميله بشفائه من مرضه)

ورد البشير فكان أكرم وارد ... ملأ القلوب مسرة وسرورا
وأراح أرواحًا وبشّر بالشفا ... فالكون أجمعه غدا مسرورا

صديقي الفاضل، وأخي الماجد؛

تلقيت خبر شفائك بكمال السرور، فزادَ بصري نورًا على نور، وحمدت الله تعالى على هذه النعمة الكبرى، وبادرت إلى رفع التّهاني بهذه البشرى

المجد عوفي إذ عُوفيت والكرمُ ... وزال عنك إلى أعدائك الألَم
وما أخصّك في بُرءٍ بتهنئة ... إذا سلمتَ فكلّ الناس قد سلموا

وكيف لا نمرح، وبشفائك نفرح، ونرفل في حلل البهاء، ونشرب نخب الصفاء، وأنت لنا بمنزلة الماء للأرواح، أو الأرواح للأشباح، فالشكر لله الذي عافاك من الآلام، وشفاك من جميع الأسقام، وأشرق نورك، وأعاد سرورك،

والحمد لله زال البؤس والألم وقد جرى بتوالي بِشرك القلم
وقد تمحّض عنك الذنب واتّضحت سبل السّرور فلا غمّ ولا سقم

وأسأله تعالى أن يديم نعمتك، ويحفظ عليك صحتك، بمنه تعالى وكرمه، والسلام.

(رد الخطاب السابق)

وافى كتابك مثل البُرء للسقّم فزال ما قد بقي من شدة الألم
كأن أحرفه عندي رقى قُرئت فلم يقم معها برئي ولا سقمي

حضرة الأخ الوفي، والصّديق الصفي؛

بكل احترام، أقدم تحية الإخلاص وعاطر السلام، وبعد.

فقد تشرّفت بخطابك المشتمل على تهنئتي بالشفاء، وهذا ما أعهده في ذاتك الكريمة من صدق الإخاء، فلك مني واجب الشكر وجميل الثناء، وقد كان لكتابك أجمل وقع في فؤادي، وأعظم تأثير في إتمام شفائي وإسعادي.

ورد البشير بما أقرّ الأعينا وأتى النفوس فنلن غايات المنى
وتقاسم الناس المسرّة بينهم قسما فكان أجلهم قسما أنا

والله سبحانه وتعالى هو المحمود على نعمه، ومواهب لطفه وكرمه؛ فقد تفضل علي بإرجاع الصحة، التي هي أعظم منحة، وخلع حُلل العافية عليّ، وساق لباس السلامة إليّ، وأسأله أن يبلغك بالصحة والكمال، منتهى السعادة والآمال، وتفضل بقبول عاطر السلام.

(من تلميذ يهنئ زميله بعودته من مدارس أوروبا)

أخي الصديق الحميم؛

أهديك من صميم فؤادي، تحيّتي وسلامي، واحترامي، وإعظامي، وبعد.

فاليوم طابت نفسي بقدومك سالما، وقرّت عيني بوصولك غانمًا، فلأشكرن الله على ذلك شكرًا دائمًا.

قـدم العزيـز فـكان أكـرم قـادم ... مـلأ القلـوب مسـرّة وسـرورا
وأراح أرواحًـا وبشّـر بالمنـى ... والكـون أجمعـه غـدا مسـرورا

جمع الله شمل سروري بأوبتك، وسكن نافر قلبي بعودتك، وكان بودي الحضور لديك، للتّسليم عليك، ولكن عاقتني العوائق، وحالت بيني وبينك الموانع، فكتبت إليك هذا الكتاب، أهنيك بسلامة الأوبة، وحسن القدوم، أدام الله عليك نعمته، وأتمّ لك مِنّته، في هناء وسرور، وصفاء وحبور، وعافية تامة، وصحة كاملة، والسلام.

(من صاحب يهنئ صاحبه بقدومه من سفر)

عزيزي المحترم؛

لك التحية، وعليك السلام، وبعد.

فعودتك للوطن، من كنز النّعم والمنن، وإني أهنئ نفسي والأصحاب، والأهل والأحباب، برجوع بدر الكمال لسماء هالته، وتشريف الوطن به بعد طول غيبته، ومن عهد وصول مسامعي مسرّات القدوم وظهور قمر الأنس من غياهب الغيوم، وأنا مشغوف الفؤاد، بتجديد ما سلف من عهد الوداد.

وختامًا تفضل بقبول أزكى السلام.

(من صاحب إلى صاحبه يهنئه بقدومه من السفر)

أخي المفضال؛

أهلًا بقدومك الكريم ومرحبًا بإقبالك العظيم، فقد عاد السرور بعودتك، وفرح الوطن بأوبتك، وابتسمت الثغور، وانشرحت الصدور، وعم الهناء والحبور.

حيُيّت من قادم أحيى القلوب فما أبقى من الهمّ محزونًا ولا تركا
بلغت نيل المنى لازلت تبلغها من فضل أكرم من أعطى ومن ملكا

فحبذا يوم أسفر صبحه من بشرى وصولك إلى الوطن بالصحة والسلامة، وأنْعِمْ بساعة هي من أسعد الساعات، وأصفى الأوقات، جاء فيها البشير مبشرًا بقدومك، رافعًا رايات التّهاني بوصولك.

أسأله تعالى ألا يَحْجُب شمس نورك عن الأصحاب، وأن تقرّ بسلامتك عيون الأهل والأحباب، ولازالت السَّعادة حليفةَ جنابك، والسلامة سائرة تحت ركابك، أدامك المولى تبارك وتعالى، حائزًا مجدًا وإقبالًا، والسلام.

(رد الخطاب السابق)

صديقي المخلص

أهديك سلامًا واحترامًا، وبعد.

فقد تشرفت في أهنأ السّاعات وأسعد الأوقات، بكتابك اللّطيف، الصّادر عن إحساس شريف يعرب عن سرورك برجوعي سالمًا،

ووصولي إلى الأوطان غانمًا.

طلـع الفجـر مـن كتابـك عنـدي فمتـى باللّقـاء يبـدو الصبّـاح

فلساني لا يستطيع أن يقوم بواجب الشكر لك على مدى الزمان، حيث أوليتني تهنئة بلغت عندي منتهى الإحسان، وقصوري عن الوفاء، بواجب الثناء، ظاهر لا يحتاج إلى برهان، وزيادة أشواقي إليك، لا تخفى عليك.

وقد تأكدت محبتك الخالصة، فلا عدمت عواطفك الشريفة، راجيًا من الله تعالى أن يديم بالعز أيامك، ويرفع في الدارين مقامك، وتفضل بقبول عاطر السلام، وعظيم الاحترام.

(من صديق يهنئ صديقه بعودته من السفر)

صديقي الأجل؛

أهديك تحية الإخلاص وعاطر السلام، وأخصك بفائق الاحترام، وأهنيك بعودتك إلى وطنك سالمًا، وبأوبتك إلى بلادك غانمًا.

أعـاد العـودُ أفراحـي وأنـأى القـربُ أتراحـي
وصـار العيـش فـي رغـد وبـان العـاذل الّلاحـي

فعودك يا صديقي أعاد لي السّرور، وأدخل على قلبي الفرح والحبور، فياله من عود حميد، وقدوم سعيد، سرّت به النفوس وارتشفت من الأفراح صهباء الكؤوس، وإشعارًا لما حصل من السرور، سطرت هذه السطور، لأنتهز هذه الفرصة لتوطيد شعائر إخلاصي، وتقوية رابطة ودادي، وتقديم عظيم احترامي، وعاطر سلامي.

(من أستاذ يهنئ عظيمًا قادمًا من حج)

سيدي الفاضل؛

لقد أشرقت الشموس، وابتهجت النفوس، وعظم السرور وعم الحبور، بعودتك إلى الوطن العزيز.

عـاد السّـرور وعـادت الأفـراح وتولّـت الأكـدار والأتـراح
لمّـا قدمـتَ وأنـت أفضـل قـادمٍ وعليـك مـن نـور الرسـول وشـاح

إن غيبة المكارم مقرونة بغيبتك، وأوبة النّعم موصولة بأوبتك، فوصل الله تعالى قدومك من الكرامة، بأضعاف ما قرن به مسيرك من السلامة.

قدمـتَ فالبِشـر لنـا قـادم حليـف نسـك بالرضـى مقبـلًا
وزرت بيـت اللـه تسـعى إلـى أداء ذاك الفـرض مسـتعجلًا
فأبشـر فمـا أسـلفت مـن صالـح يقبلـه اللـه لمـن أقبـلا

فلك مني الهناء بحجّك المبرور، الذي أدّيت فريضته، وعُدْت منه بالسّلامة، وثوابك موفور، وسعيك بمشيئته تعالى مشكور.

أدّيـت مـن حجـة الإسـلام واجبها ثم انصرفت ومنك السعي مشكور

ولك البشرى، بهذه النّعمة الكبرى، والسعادة العظمى، لحظوتك بالتّجَليات القُدسية، وأنوار البركات المحمّدية.

بُشْـراك قـد قُبلـت مناسـكك التي فارقـت أهلـك والدّيـار لأجلهـا

فلا أوحش الله منك مطالع السعد، وربوع الفضل والمجد، والسلام.

(من أخ يهنئ أخاه بإطلاق سراحه بعد اعتقاله)

أخي الماجد، كثير الفضل والمحامد، أدامه الله، وحفظه وأبقاه.

لقد جاء الحق وزهق الباطل، وتهلّل وجه العدل، وابتسم ثغر الفضل، ببشرى خلاصك، وإطلاق سراحك، فلله الحمد على تفريج ذلك الهمّ، وكشف الكرب، وزوال الغمّ،

قـد نالـت الأحبـاب آمالهـم وكل حاسـد غَـدا خائبًـا

فلا تبتئس بما كان، ولا تحزن على ما فات، وأبشر من نعم المولى بما هو آت، واقبل تهنئة أخيك بكل إخلاص، على ما منّ الله به عليك من الخلاص، وفرّج عن جنابك، وفرّح قلوب أصدقائك وأحبابك، فلازلت محفوظًا من نوائب الدهر، وعوادي الأيام، ملحوظًا بعين عناية الملك العلام، بالغًا منتهى الآمال، حائزًا غاية الفضل والكمال، والسلام.

(من تلميذ إلى زميله يهنئه بزفافه)

عزيزي المخلص؛

لقد ابتهج قلبي، وانشرح صدري، وتضاعفت مسرّتي بما أنعم الله عليك من سرور تجدّد بهذا الزفاف السعيد.

زفافـك بالمسـرّة كان عيـدًا لنـا وبـه الصفـاء لقـد تجـدّد

أسأله تعالى أن يكون زفافك مصدر أنس وسرور، ومورد هناء وحبور، ملحوظا بالتوفيق والنجاح، وكمال المسرات والأفراح، ولازالت البركّة به محفوفة، وتهاني محبيك إليك مزفوفة، ما بزغت شموس، وانجلت عروس.

(من صديق يهنئ صديقه بزفاف نجله)

هُنِّئْتَ بالأفراح يا أسد الشرّى **بزفـاف نجـل أكبـر الأنجـال**
نجل تشرّف في أبيه وجدّه **ونجابـة الأعمـام والأخـوال**

أيها الصديق المخلص؛

سلام الله وتحياته إليك، وأسأله تعالى دوام نعمه عليك، وبعد.

فلي الشرف العظيم، بتقديم أجمل التهاني، وعظيم مسرّاتي، بزفاف نجلك الوحيد، ذي الطّالع السعيد؛ فسرّنا ذلك غاية السرور، وانشرحت لأجله الصّدور.

لقـد غبـط العـلا بزفـاف نجـل أبـوه أنـت يـا ليـث النـزال
فـلا زالـت لـه الأيـام تدعـو ولا برحـت تهنّيـك الليالـي

وأرجو أن تدوم مُشرقة أنوار طلعتك، فتّزف هذا البدر إلى شمس الكمال، ينجلي بأنسها السرور، ويزداد بها الهناء والحبور.

شـمس المحاسن بالمسـرة والصفا زُفـت لبـدر المجـد والأفضـال
وزفافهـا لـك بالسـرور وبالهنـا وافـى بأجمـل مظهـر الإقبـال

أقرَّ الله عينك بوجوده، وأدام في هالة الإقبال بدر سعوده، حتى ترى من نسل هذا النجل بدور عزّ وإقبال، تشرق في ظل حياتك بنور الجمال. وختامًا تفضل بقبول عظيم التحية وعاطر السلام.

(رد الخطاب السابق)

صديقي الحميم؛

بيد الابتهاج، تشرّفت بمكتوبك الكريم، الذي ملأ قلوبنا بالفرح العظيم، مُسفرًا عن إخلاص وصفاء، حاملًا آيات التبريك والهناء، بزفاف ولدي، فتلوته شاكرًا لأفضالك، داعيًا بدوام العز لأنجالك، راجيًا أن ينالوا بوجودك نعمة الصحة والانشراح، وتشرق لهم بمطالع سعودك أقمار المسرات والأفراح، والله سبحانه وتعالى يحفظ شريف وجودك، ويطلع في سماء العز والإقبال بدر سعودك، وتفضل بقبول أزكى السلام.

(من تلميذ يهنئ زميله بعقد قرانه)

شقيق الروح والفؤاد، دائم الإخلاص والوداد، أهديك عاطر السلام، مع كمال الاحترام، وأهنيك بالقران السعيد، والزواج المبارك الحميد، الذي شرح منا الصدور، وأورث قلوبنا الفرح والسرور.

مـولاي لابرحـت تهنئـك الـورى ولـك الإلـه بمـا تريـد يوفـق
بقرانـك المسـعود والمبـروك والـ محمـود فـاض علـى الأحبـة رونق

جعل الله هذا العقد بالتهاني منتظمًا، وشمل أنسك ومسرتك به ملتئمًا، وبارك لك في شريكة حياتك، ومنحك منها ودا خالصًا في جميع أوقاتك، ورزقك منها البنين، والحفدة الصالحين، وجعل لك في مَقدمها الخير والسعد، والرقي والمجد، والعيش الرغيد، والعمر المديد، ودمت معها في صحة وهناء، وكمال أنس وصفاء، والسلام.

(خطبة في ليلة زفاف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي شرح الصدور، وأنعم علينا بهذا السرور، فعمّ الهناء والحبور، وتحلّت بحلل البهاء النفوس، وارتشفت من الأفراح صهباء الكؤوس؛ فما أبهجها من ليلة أقبلت علينا بالأفراح، وأذهبت عنا ظلمات الأتراح، وأوجدت في قلوبنا الانشراح، وأنعشت نفوسنا بالطرب والارتياح؛ ليلة ما أبهاها وأحلاها، وأزهاها وأجلاها!

إنّا نهنّي نفوسًا طالما انتظرت هذا السرور الذي أوقاته حضرت
فأسكرتنا براح الأنس إذ بهرت وأرقصتنا ليالي قطّ ما قصرت

أيها السادة! إن الزواج سنة شريفة، وطريقة جليلة، به تبقى الشعوب، وتتكاثر الأمم، ويطيب العيش، وتعظم الحياة ويستقيم الحال، ويطمئن البال، لهذا قضى قاضي الجمال، بالتأهلّ لهذا الهلال، الذي دعانا للاحتفال، بزفافه على رَبّة الحسن والكمال، من أطيب العناصر، تُعقد على مثلها الخَناصر، وافقت هذا الهمام في كمال أدبه ونسبه، وحسن تربيته وحسبه، فكأنهما تشاكلا في عالم الذَّر، وتشابها في نفس الأمر؛ إذ الأرواح جنود مُجَنَّدة، ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف.

يا بدر أنس به شمس البها قُرنت ونجم عزّ به الأحباب قد سَعدت

أبشر بقرانك السعيد، المقرون بالخيرات، المصحوب بالبركات المتبوع

بالرفاء والبنين، والوفاق والوئام، وكمال الأنس والصفاء.

قـران سـعدٍ بـه وقـت السـرور صفـا حيّت معاليه شهمًا قد سما شرفا
زُفّت به الشمس للبدر المنير دُجًى والنجم من دهشه في الأفق قد وقفا
لو شاءت الشمس أن تحكيها لانكسفت أو حاول البدر أن يشبهه لانخسفا
وأقبـل الطالـع الميمـون طائـره وأنجز المجد والإقبال ما وصفا
فالعيـن فـي قـرّة والقلب فـي فرح والقلب مبتهج من حسن ما ألفا

وإني أشكر الله شكرًا جزيلًا، على ما منحك من نعمه الوافرة وآلائه الفاخرة، وأعطى القوس باريها، وأسكن الدار بانيها؛

فمـا سـواه لهـا بكـفء وليـس كُفْئًـا لـه سـواها

كما أني أشكر لحضرات الذين تفضلوا بالحضور، فالعاقبة عندهم في الأفراح والسرور،

واللـه يشـرح بالأفـراح صدوركـمُ ويرحـم اللـه عبـدًا قـال آمينًـا

(خطبة أخرى في ليلة زفاف)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدًا لمن أشرق شموس الأفراح من بروج السّرور، وأجراها في سماء الإخلاص والمحبّة فسطعت أنوار الهناء والحبور، فسبحانه وتعالى من إله ألّف بين القلوب، ووصل ميل المحبّ بالمحبوب، وبعد.

فيا حضرات السّادة! ما هذه الأنوار؟ أنحن في ليل أم في نهار؟ وما

هذه اللئالئ والدّرر؟ «أطلعت الشمس تزهو أم هي القمر؟» ولكن نحن في ليلة القدر، التي هي خير من ألف شهر؛ أنوارها فوق العادة، لمن خصه الله بالسّعادة، فمنحه الحسنى وزيادة، ألا هو حضرة صاحب الفرح العظيم، الشهم الكريم،

همام قد غدا في حسن قول ... وفعل نحوه كلّ يشير
له في دولة الأفراح عرس ... به أيامنا عيد كبير
به الأفراح قد عمّت وخصت ... بما يهوى كبير أو صغير
فكم من لذّة فيه أقيمت ... بها حاز المنى الجمّ الغفير
وكم من ليلة بالأنس مرّت ... وما مرّت وكوكبها منير
بها تُهدى الكريمة من ذراها ... لكفء وهو للعليا جدير

وإننا نهني حضرته بهذا القران السعيد، قران أودع أجمل الفرائد، واشتمل على أكمل الفوائد، فهو من متممات الدّين، وبه يكثر البنون، وعليه يتوقف العمران، وتحفظ الأوطان، فأنعم به وأكرم، ترغب فيه الأخيار، وتنفر منه الفسّاق الأشرار؛ فلله هذا السرور، الذي قد جمع أنواع الحبور، واستضاء بطلعته الناظر، واطمأن إلى أنسه الخاطر، فياله من فرح، أذهب عنا التّرح؛ فكم فيه من أعاجيب أسماع وأبصار، فكأنه جنات نعيم بهذه الديار، تؤذن بطلوع أقمار التهاني، وسطوع شموس التّداني.

فرح به اعتدل الزمان وزينت ... فُرج المكان ببشره لما وفا

وقد منح الله هذا الهلال، شمس جمال وكمال، فحاز رتب المعالي حوزًا، وفاز بجميل الأماني فوزًا.

وافـت قرينتـك العزيـزة بالهنـا والخيـر يقدمهـا مـع الإسـعاد
وفـدت فشـرفت الوجـود وأقبلـت باليمـن والإقبـال والأعيـاد
فاهنـأ بهـا وأبشـر بحـظّ نلتـه وابلـغ مـن الأيـام كل مـراد

وختامًا أقدم لحضرات السادة الذين شرفوا هذا المكان، واجب الشكر وجميل الامتنان، والعاقبة عندهم في الأفراح والمسرات.

واللـه يشـرح بالأفـراح صدوركـمُ ويرحـم اللـه عبـدًا قـال آمينًـا

(أبيات تكتب في رسائل التهاني)

(تهنئة بشهر رمضان)

قـد أقبـل الصـوم فأهـلا بـه تهـنّ مـولاي بإقبالـه
فاللـه يبقيـك لأمثالنـا واللـه يحييـك لأمثالـه

****

رمضـان جاءك بالسُّـرور مُبشـرًا فاهنـأ وصُمْـه بالمسـرّة والصفّا
وعـد الزمان بأن يعيد سـعودهُ لعُـلاك يا بدر الكمـال وقد وفى

****

رمضـان أقبـل بالهنـا فلمثلـه دُم فـي سـلام
فاهنـأ وصمْـه فائـزًا أحيـاك رّبـي كل عـام

****

رمضـان أضحـى مقبـلا فيـه اغتنـم أجـر الصيـام
وهنـاؤه لـك قائـلًا بالخيـر تحيـى كل عـام

****

شـهر تسـامى رفعـة شـهر القيـام مـع الصيـام
شـهر المسـرة والهنـا دومًـا يـزورك كل عـام

****

رمضـان لقـد أتـى بالتهانـي مشـرقًا نـوره لـذاك المقـام
فتهنـأ بمثلـه كل عـام فائـزًا بالمنـى مـدى الأيـام

****

أشـرق الكون بالسـرور ووافى خيـر شـهر بـه الهنـاء تجـدد
فعليكـم مـع الأحبـة دومًـا بسـعود يعـود والعـود أحمـد

(جواب التهنئة بشهر رمضان)

بتهانيـك قـد حظيـت فشـكرًا لـك يـا أيهـا الصديـق الممجـد
دمـت مـع كل مـن تحـب بخيـر وسـرور فـي ظـل عـز مخلـد

(تهنئة بعيد الفطر)

عيـدٌ زهـا وأتـى إليكـم رافـلا فـي حلـة العيـش الهنـيّ السـامي
فتمتعـوا فيـه بصفـو مسـرة أبقاكـم اللـه مـدى الأعـوام

****

عيد سعيد بدت في الكون بهجته يهدي علاك المعالي والكمالات
أعاده الله بالإقبال مبتسمًا وكل عـام وأنتـم بالمسـرات

****

أهنيكـم بهـذا العيـد دومًـا وأشـكر فضلكـم بيـن الأنـام
فـلا زلتـم مـدى الأزمـان أنسـي ويبقـى مجدكـم فـي كلّ عـام

****

دُم فـي سـرورك سـيدي وافـرح بعيـدك كلّ عـام
فلـك التهانـي أقبلـت بـدوام عـزك والسـلام

****

كتـب البنـان مهنئًـا دام الصديـق لـكلّ عـام
لازالـت الأعيـاد تـز هـو باجتـلاء علـى الـدوام

****

العيـد أشـرق نـوره والبشـر قـد عـمّ الأنـام
أحياكـمُ المولـى إلـى عيـد الهنـا فـي كل عـام

****

عيـد التهانـي أشـرقت أنـواره وبكـم يتـم سـروره المتباهـي
اللـه يحييكـم إلـى أمثالـه متمتعيـن بحسـن أنـس زاهـي

****

العيـد وافـى بابتسـام يهـدي التهانـي للأنـام
فاهنـأ بـه واسـعد ودم لنظيـره فـي كل عـام

****

حمائـم العيـد غنَّـت علـى غُصـون الأمانـي
لـذا خليلـك يهـدي إليـك أزكـى التّهانـي

****

ليهنّـك سـيدي عيـد شـريف يبشّـر عـن صيامـك بالثّـواب
فقابـل بالمسـرّة وجـه فطـر تبسّـم عـن ثنايـاك العـذاب

****

أعـاد اللـه عيـد الفطـر دومًـا عليكـم بالمسـرّة والهنـاء
وفزتـم بالمنـى فـي شـهر صـوم علـى الدّنيـا تجلّـى بالصفَـاء

****

سـيدي هنّئـت بالصّـوم وفـي بهجـة الإفطـار أنعـم فـي هناهـا
وتلـقّ العيـد بالبِشـر فقـد جـاء منكـم يجتدى قدرًا وجاهـا

****

يـا بهجـة هـذا العصـر لقـد وافـاك العيـد فـدُم واسـعد
واهنـأ لازلـتَ قريـن المجـ ـد بمنزلـة تسـمو الفرقـد

****

يـا سـيدي وأعـز النـاس منزلـة عندي ويا من سما في حسن أفعاله
وافـاك بالبشـر عيـدٌ أنـت رونقـه فاسـلم بخيـر إلـى أمثـال أمثالـه

****

تهنئـك السـعادة كل عيـد بإقبـال وقـد رُغـم الحسـود
ولازالـت لـك الأيـام بيضًـا وأيـام الـذي عـاداك سـود

****

أمـولاي هـذا اليـوم يـوم مبـارك وعيـد سـعيدٌ بالهنـا يتهلّـل
أمـولاي أحيـاك الإلـه لمثلـه وعـزك موفـور وسـعدك مقبـل
وعـاد إليـك العيـد والعـود أحمـد وأنـت على ما أنت في العز ترفل

****

أُهنّـئ بالعيـد مـن وجهـه هـو العيـد لـو لاح لـي طالعًـا
وأدعـو إلـى اللـه سـبحانه بشـمل يكـون لنـا جامعًـا

****

عيـدُ الصيّـام نـراه فـي إقبالـه يهديكـمُ التّبريـك نـور هلالـه
دامـت عليكـم نعمـة الرحمـن مـا سـطعت شموس الأنس في أمثاله

****

بعيـد الفطـر أهديـك التّهانـي وأرجـو أن تـدوم لـك المسـرّة
فـدم بالعـزّ والإقبـال يـا مـن رأينـا فـي سـماء الفضـل بـدره

****

لقد ذهب الصيّام ونلت أجرًا ... به والعيد وافى بالهناء
فأرجو أن يعود بكل عام ... عليك مع الأحبّة بالصفّاء

****

لذاتك عيد الفطر قد لاح نوره ... فأضحت به الأيام باسمة الثّغر
فَدُم رافلا بالعز والسعد عائدًا ... لأمثاله في كل عام مدى الدهر

****

العيد أقبل نحو ذاتك باسمًا ... يهدي إليك على الصيّام قبولًا
عيدٌ بنيل مُناك جاء مبشرًا ... فاهنأ ودُم واقضِ به المأمولا

****

أمولاي إن الدهر يعلم فضلكم ... ويعرفكم أندى بنيه وأكرما
فوافاك عيد الفطر بالعز دائمًا ... ووافاك صوم الدَّهر أجرًا معظمًا

****

عزيزي لقد وافاك عيد مبارك ... على سعدك السامي كمال جماله
فدُم أنت والأهل الكرام بصحة ... وخير وإسعاد لألف مثاله

****

عزيزي أيانسل الكرام لقد بدا ... يُهنّيك بالإسعاد عيدٌ مبُجَّل
فكن في كمال الفضل يا بهجة العلا ... إلى مثله إذ أنت بالمجد أمثل

****

مـولاي دم بالصفـا واليمن متنصرًا مـع مـن تحـبّ بإسـعاد وتمجيـد
واستقبل العيـد فـي عـز وفي دعة والنـاس في كل يوم منك في عيد

****

تهنـأ أخـي بعيـد سـعيد تبـدّى لنـا مثـل بـدر تمـام
ودُم بالصفّـاء لأمثالـه بخيـر مـع الأهـل فـي كلّ عـام

****

لقـد وافـاك عيـد الفطـر يرجـو مسـرّتكم بأنـس قـد تجـدَّد
فـدُم واغنـم مسـرّات التهانـي وسُـد وارق العـلا والعـود أحمـد

****

أهنـي سـيدي بقـدوم عيـد عليـه بالمسـرّة والهنـاء
وأرجـو أن يطـول بقـاك فينـا هنيئًـا بالأمانـي والبهـاء

****

أهنّيكـم بهـذا العيـد دومًـا وأشـكر فضلكـم بيـن الأنـام
فـلا زلتـم بعـزّ مسـتديم ويبقـى مجدكـم فـي كلّ عـام

****

عيـدٌ بـدا مثـل بـدر فـي أفـق مجـدك زاهـر
لازلـت فـي كل عيـد تزهـو بنـور المفاخـر

****

بعيد الفطر والبركات أهدي لحضرتك الهنا مع السلام
أرجو أن يعود عليك دومًا بكل مسرة في كل عامّ

****

العيد أقبل باسمًا يُبدي التحية والسلام
يرجو دوام علاكمُ ليزوركم في كلّ عام

****

أحباب قلبي حُفظتم لكل عيد ودمتم
فاستبشروا بتهانٍ وكل عام وأنتم

(تهنئة بعيد النحر)

أهنيك بالعيد السعيد وواجب عليّ بأن أهدي إليك به الهنا
وأرجو من الرحمن أن تبلغ المنى بحج وتحظى بالمسرة في منى

****

بعيدكم الأضحى أتيت مهنئًا ونوركمُ أضحى علينا هو العيد
فلازالت الأعياد تحظى مسرة بنور محيّاكم ويجلو لها الجيد

****

بعيد النحر ذي البركات أهدي لحضرتك الهناء مع السلام
وأرجو أن يعود بكل عز وإقبال عليك بكل عام

****

تهنـأ بعيـد النحـر وابـق ممتعًـا بأمثالـه سـامي العـلا نافـذ الأمـر
تقلدنـا منـه قلائـد أنعـم وأحسن ما تبدو القلائد في النحر

****

لقـد وافـاك عيـد النحـر فاهنـأ بـه واسـلم ودم بالعـز فينـا
عليـك أعـاده البـاري تعالـى مـع الأحبـاب مـا دامـت سـنينا
وافـاك بالإقبـال عيـد مسـرّة يـا ابـن الأكابـر وهـو عيـد أكبـر
لازلـت بالعيـش الرغيـد ممتعًـا ولـك الهنـاء بمثلـه يتكـرّر

****

لـك الأعـداء قُربانًـا فعيـد الأضحـى وافانـا
فـدُم بالسّـعد مبتهجًـا وسُـدْ فـي السـعد أزمانـا

****

بشـائر السـعد لاحـت وقـد أتتكـم هنيّـة
فابقـوا مـع الأهـل دومًـا مـا لاح عيـد الضحيّـة

****

وافـاك عيـد سـعيد يهديـك حسـن التحيّـة
فاسـلم إليـه دوامًـا واجعـل عـدَاك ضحيـة

****

بعيـد النحـر يـا خِلّـي تهنـا وعـش بيـن المـلا عيشًـا هنيًـا
وأبقـاك الإلـه لـكل عيـد وأنـت بصحـة مادُمـت حيـا

****

العيـد جـاءك مقبـلًا والسـعد أضحـى خادمًـا
فاهنـأ ودُم لمثالـه أبقاكـمُ ربّ السـما

****

العيد أقبـل يزهـو بالأمانـي وقـد عـم السـرور وجـاء البشـر يبتسـمُ
فاهنـأ بعيد الصفا والصفو مشتمل وكلّ عـام وأنتـم فيـه تغتنـمُ

****

شـمس المسـرة أشـرقت بقـدوم ذا العيـد السـعيد
والسـعّد أقبـل منشـدًا فلتهـنَ فيـه لـكلّ عيـد

****

أقبـل العيـد بالسّـرور إليكـم فلـك الهنـا والسّـعد حيـث كنتـم
وغـدا قائـلًا يُهنّـي علاكـم يـا أخـا الفضـل كلّ عـامّ وأنتـم

****

عيـد التّهانـي مقبـلٌ لـك بالمسـرّة والهنـا
فاقبـل مزيـد تحيّتـي واهنـأ فقـد نلـت المنـى

(جواب التهنئة عن عيدي الفطر والنّحْر)

بالعيـد وافتنـي تهانيـك التـي راقـت ومثلـك فضلـه لا ينكـرُ
لازلـت فـي أمثالـه تلقـى الهنـا وعليـك ألويـة المسـرّة تنشـرُ

****

بالعيـد هنّأتمونـي وبالكمـال اتّصفتـم
فصـرت أشـكر منكـم فضـلًا بـه قـد سـبقتم
لازلـت فـي كل خيـر وكل عـام وأنتـم

****

بعيد منكم أتى التبريك لي وبه لكـم أقـدم شـكري والهنـاء معـه
أعـاده اللـه بالعيش الرغيد علـى جنابكـم وصنـوف الخيـر مجتمعه

(تهنئة بزواج)

هنيئًـا بالرفـاء وبالبنينـا ودُمـت مؤيـدًا فيـه مكينًـا
ولا بـرح الزمـان لكـم معينـا لتشـرب بالرضـا وردًا معينًـا

****

بشراك قد أكملت دينك سالكًا مـن سـنّة المختـار خيـر سـبيل
فاهنـأ بهـا حَسـناء ذات صيانـة إنّ الصيّانـة رقـم كل جميـل

(تهنئة بالمولد النبوي الشّريفّ)

بمولـد سـيّد الكونيـن أهـدي لـك التّبريـك يـا بـدر المعالـي
ودمـت لمثلـه فـي كلّ عـام جديـرًا بالمسـرّة والكمـال

****

بعيد ميلاد النبيّ لك الهنا فإن به الأكوان قد زاد قدرها
وقد ملئت كل القلوب مسرّة وأشرق في أوج السّعادة بدرها

(تهنئة بعام جديد)

عامٌ جديدٌ سعيدٌ فيه علاكم يزيد
يُعاد دهرًا وفيه من المنى ما تريد
والدهر بل كل يوم حياتكم فيه عيدُ

(أبيات تكتب في دعوة الأفراح والولائم)

شموس الأنس قد بزغت وبدر السعد قد طلعا
وأوقات الهنا تصفو إذا ما نوركم سطعا

****

الدهر وافى بالمسرّة والهنا ووفى الزمان بغبطة وصفاء
فتكرّموا بحضوركم يا سادتي كيما يتمّ بكم عظيم هناء

****

أشرقت شمس التّهاني في أويقات السرور
وبشير الأنس نادى شرّفونا بالحضور

****

أيا جمع الأحبّة شرّفوني وصافوني المودّة والمحبّة
فأفراحي صفت بالأنس لكن تمام الأنس تشريف الأحبّة

****

سراة المجد أدعوكم لداري وإن كنتم بها أهل الديّار
فلازالت مجالس الأنس تجلى لديكم ما انجلت شمس النهار

****

عزمت على تزويج نجلي فشرّفوا إلى دار داعيكم لإجراء عقده
يزيد بكم أُنسي لأن وجودكم به منزلي تزهو مطالع سعده

****

أيا سادة لازال كوكب فضلكم له في سماء المجد يشرق نور
بكم يزدهي نادي المسرّة بهجة فمنّوا بتشريف يتمّ سرور

****

تبسّم ثغر الدهر عن درر المنى ونجم التّهاني بالمسرّات مقبل
وحيث سما الأفراح أنتم بدورها وأنتم دواعي أنسنا فتفضّلوا

****

شمس التّهاني أشرقت والأنس يدعو للحضور
شرّف بفضلك داعيا ليتم لي حسن السرور

****

بـدر التهانـي قـد زهـا بالسـعد فـي أبهـى المنـازل
ودعـوت والعقبـى لكـم ليكـون داعـي الأنـس كامـل

****

ليالـي الأنـس قـد سـطعت لنـا فـي حسـن إبـداع
فمـن أفضـال حضرتكـم أجيبـوا دعـوة الداعـي

****

يابهجـة العصـر يـا مـن فـي فضلـه لا يشـارك
شـرّف بفضلـك قـدري يـوم الخميـس المبـارك

****

رياض أنس بأفراح الصفّا ابتهجت وأشرق النور فيها من مساعيكم
بهـا البلابـل بالألحـان قائلـة ياسـادتي شـرّفوا للأنس داعيكـم

****

أوقـات أفراحـي تبسّـم ثغرهـا وافتـرّ عـن درّ نظيـم فـي صفـا
ووجودكـم هو عيـن أنس محبكم فـإذا مننتـم بالحضـور تشـرّفا

****

سـروري وأفراحـي يجمـع أحبتي ومن حسن مسعاكم إجابة دعوتي
فمنّـوا علـيَّ بالحضـور تكرّمـا لأحظـى بمأمـول وأوفـي مسـرّتي

****

عندي من الأفراح أوقات صفت كملت محاسنها بما لا يوصف
لكنّ أنسى لا يتمّ نظامه ألا بتشريف الحبيب فشرّفوا

****

سروري من الدنيا اجتماع أحبّتي وغاية مقصودي إجابة دعوتي
ألا أيها الأحباب جودوا وشرّفوا لتزداد أفراحي وتُجلى مسرّتي

****

بلبل الأفراح غنّى فوق أغصان السرور
وبشير الأنس نادى شرّفونا بالحضور

****

بلبل الأفراح يشدو بالمسرّة والحبور
ولسان الحال يدعو للأحبّة بالحضور

****

الأنس وافى والسرور بدا لنا والفرح قد أمسى مقيما عندنا
والبشر يمّم نحونا متبسّما ثم انثنى يدعوك تحضر للمنى
فامنن علينا بالحضور مشرّفا ولديك في الأفراح عاقبة الهنا

****

الدهر أصبح مسفرا عن طلعة الأنس الجزيل
والبشر أعلن بالمنى يدعو الخليل إلى الخليل
فأجبْ بفضلك دعوتي يا سيدي ولك الجميل

****

ليالـي الأنـس وافتنـا بمـا كنّـا نؤمّلـه
وأوقـات الصفـا راقـت وقـد طابـت شـمائله
وتشـريفي بحضرتكـم فـلا شـيء يعادلـه
فمنّـوا سـادتي كرمـا فخيـر البـرّ عاجلـه

****

جـاد الإلـه بفرحنـا وسـرورنا فـي ليلـة أنوارهـا أحبابنـا
وعواقـب الأفـراح تبقـى عندكـم نسـعى لكـم فيهـا كمـا تسـعوا لنـا

****

يـوم الخميـس مسـاؤه تتلـى بـه لليمـن قصـة مولـد المختـار
وبكم مسرَّاتي تتمّ فأرتجي **تشـريفكم وقـت العشـاء لـداري**

****

لقصـة مولـد الهـادي أجيبـوا دعـوة الداعـي
لتشـنيفٍ وتشـريفٍ لأسـماع وسـماع

****

عنـدي ريـاض مسـرَّة تزهـو بأنـواع الهنـا
فبغيـر أمـر شـرّفوا فحضوركـم عيـن المنـى

****

شـمس التَّهانـي تجلّـت وكوكـب الأنـس أنتـم
وسـاعة الصفـو راقـت فشـرِّفونا ودمتـم

****

الباب الثالث عشر

في رسائل التعازي

(من تلميذ إلى زميل له يعزيه في وفاة والده)

صديقي؛

بأيّ لسان أعزّيك في مصاب عمَّ الوطن أجمع، ولم يدع مُقلة لم تدمع، ولا فؤاد لم يتوجّع، ولا كبدًا لم تتقطع، فلقد استولى عليَّ الجزع، وتملّك قلبي الفزع، لوفاة والدك الجليل، برّد الله ثراه، وأكرم مثواه؛

جلّ المصاب وعزَّ فيه عزائي ... وتحكّمت فينا يد البأساء
فاصبر فإن الصبر محمودٌ لمن ... عظمت رزيّته على الآباء
لا ينفع الأسف الطويل وإنما ... في الصبر تظهر حكمة العقلاء

وفي مثل هذا.. امتحان الرجال، وموطن الصبر والاحتمال، والمرء بأعزِّ ما لديه يُمتحن، والصبر على مقدار الهم والفطن.

أسأله تعالى أن يوليك سعة الصَّدر، ويمنحك نعمة الصبر، وجزيل الأجر، ويكون لك حسن الرضا والتسليم، وسيلة للفوز بالثَّواب العظيم،

ويجعل هذا المصاب خاتمة الأحزان، ويلهمك جميل الصبر والسّلوان، ويفيض على الفقيد سحائب الرحمة والرضوان.

(من صديق يرثي صديقه)

هكـذا هكـذا تكـون الخطـوب وبهـذي الهمـوم تفـرى القلـوب

ويل للزمن الذي فجع الأحباب، بهذا المصاب، ورزأ الخلان، بهذه الأشجان، فأمطري يا عين بدل الدموع دماء، وأكثري على هذا الفقيد حزنًا وبكاء، إذ كان من أجلّ الناس اعتبارًا، وأعظمهم أدبًا وعلمًا، وأكرمهم خلقًا وحلمًا، وأحسنهم لطفًا وظرفًا، فلتبكه السّجايا الحميدة، والمزايا المفيدة.

عليـك سـلام الله يا خيـر أخداني وحيّـاك عنـي كل روح وريحـان
ومـازال مُنهـلًا علـى رمسـك الحيا يغاديـك منـه كلُّ أوطـف هتّـانِ

(من تلميذ إلى آخر يعزيه في وفاة عمه)

عزيزي؛

في ساعة لم أترقّبها، فاجأني النّعي الأليم، والخطب الجسيم الذي فتَّت الأكباد، وأذابَ الأجساد، وسوَّد وجوه المكارم والمعالي، وصوَّر الأيام في صور الليالي، وغادر المجد لابسًا حِدَاده والعدل باكيًا عِماده، بفقد المرحوم «العمّ» الذي أشاطرك بعده الكمد والغمّ؛

الأمـر للـه وصبـرًا علـى ماشـاءه فهـو العزيـز الحكيـم
ومـن تلقّـى حكمـه راضيًـا أرضـاه فـي العقبـى كريـم حليـمُ

ولا أزيدك علمًا أجمل الله صبرك، ولا أراك من بعدُ إلا ما يَسُرّك،

ويشرح صدرك، إن الموت أمر الله الذي لا يُقابل بغير التّسليم، وقضاؤه الذي ليس له عدّة سوى الصبر العظيم، فإذا امتحن عبده فصبر، آجره وعوّضه بكرمه، كما أنه إذا أنعم عليه فشكر، زاده وضاعف له من نعمه، وأنا أعرف منك الخضوع لما قضى، ومقابلة أمره سبحانه وتعالى بالتّسليم والرضا؛

لـك اللـه فاصبـر للرزيّـة آخـذًا — من الأجر مقدار الذي كان من حزن
علـى أن فقـد العـمّ غـمّ وإنمـا — هـو المـوت لا يبقـى ولكنّه يفنـى

ألهمك الله الصبر الجميل، وعوَّضك الأجر الجزيل، وأمطر على الفقيد سحائب رحمته، وأسكنه فسيح جنّته، بمنّه تعالى وكرمه، والسلام.

(من والد يندب ولده)

إلى الله مآبك يا ولدي، إلى الله مآبك يا كبدي، إلى الله مآبك أيها الزهر الذي قطفه الموت في أزكى شذاه، إلى الله مآبك أيها الغصن الرّطيب في صباه، في ذمة الله يا ولدي، يا من كنت أملي وغاية قصدي؛

وارحمتـا يـا ولـدي — يـا قطعـة مـن كبـدي
هـذا وداعٌ بيننـا — علـى فـراق الأبـد
حسـبتني ذا جلـد — فأيـن منـي جلـدي
وأدمعـي فيّاضـة — يسـبح فيهـا جسـدي
وا أسـفا يـا أملـي — لقـد ذهبـت مـن يـدي

أعددتك يا ولدي ذخرًا، وإذا بك مسلوب، وظننتك لي فإذا بك للثرى؛

لقد كتب الفناء على البرايا إله طوع قدرته العبيد
سيفنيهم ويبعثهم لحشرٍ فلا ولد يدوم ولا وليد

آه؛ لقد أتيت نقيًّا، وذهبت نقيًّا، كقطرة الطّلّ على وردة من الورد، تلمع بكرة ولا تلبث أن تستطار بخارا، ولقد أدهشني أنهم غسّلوك، وما غسّلوك إلا بوابل دمعي الهتون، وكفّنوك وما كفنّوك إلا بلفائف قلبي المحزون، وشيّعوك وما شيّعوك إلا ببقية كبدي المتصدّعة، ثم أودعوك تحت أطباق الثرى، وكان أحرى أن يضعوك بين حنايا أضالعي، فوا حسرتاه، ووا حرّ قلباه؛

كيف طوتك المنون يا ولدي وكيف أودعتك الثّرى بيدي
فقْدُك سلّ العظام منّي ورمْ دَ الصبر عنّي وفتَّ في عضُدِي
كم ليلة فيك لا صباح لها سهرتها باكيًا بلا مدد
فليبك قلبي عليك فالعين لا تبلغ بالدّمع رُتبة الخلد
إن يك أخنى الرّدى عليك فقد أخنى أليم الضنى على جسدي
عليك مني السلام توديع لا قالٍ ولكن توديع مضطهد

(من والدة تندب ابنتها)

في ذمة الله يا بُنيتي، في ذمة الله يا مهجتي، في ذمة الله يا حبيبة قلبي، في ذمة الله يا نور عيني.

وا أسفاه؛ لقد كنت عزائي عن كل فائت، وسلواني عن كل ذاهب، فلما

فقدتك فقدت كل شيء حتى السّلوى والعزاء؛

قد كنت لا أرضى التباعد بُرهة كيف التّصبر والبعاد دهور

لهفي على لطفك سماتكِ، وحسن بسماتكِ، وجمال قسماتكِ وظَرف غُرّتكِ، وخفة روحكِ، وكمال خُلقك؛

بنتاه يا كبدي ولوعة مهجتي قد زال صفو شأنه التكدير

ويلاه ويلاه! إني لأبكيك، وما أبكي إلا فلذة كبدي، وشمس بصيرتي، التي كنت أستمدّ منها نور بصري، فغربت تلك الشمس، و وُورِيت الرّمس؛

أبكيك حتى نلتقي في جنة برياض خُلدٍ زيّنتها الحور

ما أسمج وجه الحياة من بعدك، وما أقبح صورة هذه الكائنات في نظري، وما أشدّ ظلمة البيت بعد فراقكِ إياه؛ فلقد كنت تطلعين في أرجائه شمسًا مشرقة، تضيئين لي كل شيء فيه، أما اليوم فلا ترى عيني مما حولي أكثر مما ترى عينك الآن في ظلمات قبركِ، ولكن إلى الله المآب، ولكل أجل كتاب، بل إلى الله مآب كل وديعة في هذه الحياة، «ولابدّ يومًا أن تردّ الودائع»، فالوداع الوداع يا ريحانة القلب، والوداع الوداع يا مهجة الفؤاد؛

ولهي عليك بُنيّتي يا مهجتي قد غاب بدر جمالكِ المستورُ
قلبي وجفني واللّسان وخالقي راضٍ وباكٍ شاكرٌ وغفورُ
مُتّعتِ بالرّضوان في خلد الرضا ما ازيّنت لكِ غرفة وقصورُ
وسمعتِ قول الحق للقوم ادخلوا دار السلام فسعيكم مشكورُ
هذا النعيم به الأحبّة تلتقي لا عيش إلا عيشة المبرورُ

(من والدة تنعي ولدها)

أي ولدي، وفلذة كبدي،

قبل خمسة عشر ربيعًا، امتلأ بيتنا فرحًا وسرورًا، وأفعم قلبنا بشرًا وحبورًا، لمولدك الذي شرح صدورًا؛

عقدتُ بك الآمال بالنّجح واثقًا فحلّت يد الأقدار ما قد عقدته
أردت لك العمر الطويل فلم يكن سوى ما أراد الله لا ما أردته

فلا غرو أن يمتلئ اليوم هذا البيت وكل قلب فيه غمًا وحزنًا لفقدك يا ولدي... (والحياة قصاص)؛

واكبدا قد تقطّعت كبدي قد حرّقتها لواعج الكمد
يا رحمة الله جاوري جدثا دفنت فيه حشاشتي بيدي
ونوّري ظلمة القبور على من لم يصل ظُلمه إلى أحد
يا قمرًا أجحف الخسوفُ به قبل بلوغ السّواء في العدد

إلى الله مآبك أيها الكبد الذي كان يمشي على الأرض، فهوى إلى حفرة أبدية يسمّونها القبر، ولو استطعنا لكان في القلب، بل هناك قلبان أولى بهما أن يكونا قبره، قلب أمّه الثاكل، وقلب والده الحزين، ولقد بكى الباكون والباكيات عليك ما شاءوا، وتفجّعوا، حتى إذا استنفدوا ماء شؤونهم، وضعفت قواهم، عن احتمال أكثر مما احتملوا، لجؤوا إلى مضاجعهم فسكنوا إليها، ولم يبق ساهرًا في ظلمة هذا الليل وسكونه غير عينين قريحتين؛ عين أمك وعين أبيك الثاكل المسكين، ولكن الصبر أحمد العواقب، في مثل هذه المصائب، لأنه فضيلة يتجمّل بها ذوو الشمائل الفضلى، ولكنه أيضًا منتهى ضعف المخلوق الفاقد لكل حول وحيلة، أمام ذلك الخالق ذي الجبروت، الذي تُحطّم قدرته كل قوة،

وتفقد المحتال كل حيلة؛ فإذا لم يكن أمامنا (وقد عظم المصاب، وسحق كل قوة فينا) إلا الصّبر فلنصبر طوعًا أو كرهًا؛ فالله وليّ الصابرين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(من والد يندب ابنته)

بنتاهُ يا كبدي ولوعة مهجتي حزني عليك من الممات جسيم

لقد نالت مني الأيام وما نلتُ منها، وجاذبتني الليالي وما أخذت للأمر عتاده، فتعرّف الدهر موضع دائي فوترني فيك يا بنيتي، ورماك بسهم رائش أصاب المقتل، فأصبحت أندبكِ باكيًا، وأذكرك ناعيًا، فيا لله لقلب قد لاقى فوق ما تلاقي القلوب، واحتمل فوق ما تحتمل من فوادح الخطوب.

آه؛ لقد افتلذت يا بُنيتي من كبدي فلذة، فأصبحت هذه الكبد الخرقاء تهيم في كل واد، لا تستقر على حال، ولا يهنأ لها بال.

وقد ألمَّ الأسى على قلبي كلّه، فلم يدع منه جهة إلا هفا بها، أوصدعها، أو محا منها إلا «جهة اليقين»؛ فإنني من المؤمنين الصابرين، (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون).

ولم تر عيني كالصّغار مصابهم يقلب أكباد الكبار على الجمر
فلا أبك مفقودًا إلى ربّه مضى سعيدًا بلا إثم عليه ولا وزر

ولقد كنت من مواهب الله التي أُديم الشكر على بقائها، والآن أعتصم بجميل الصبر على استردادها، وقد كان ما لابد منه لكل حيّ، لأن الأعمال مقدرة لآمادها، والآجال مؤخرة لميعادها؛ فعند الله أحتسبك،

فله ما أعطى، وله ما أخذ، وإليه المصير، وهو على كل شيء قدير.

(تأبين تلميذ على قبر أستاذه)

أيها السادة، أقف اليوم أمامكم بقلب جريح، ونفس حزينة، لتأبين فقيد الأمة، فقيد العلم والأدب، فقيد الوطن العزيز.

فوحق من أضحك وأبكى، وأمات وأحيى، إنها لمصيبة كدّرت صفاء العالم، وخطب أليم انصدعت لهوله قلوب بني آدم، بل إن هذا المصاب لمصاب جسيم، وإن هذا الخطب لخطب عميم، وإنها لمصيبة يقلّ في مثلها بذل الدموع، وإنها لنائبة لا يكثر في مثلها تمزيق الضلوع، كيف لا وقد ثُلّ عرش الفضل، ودك طود العلم والنّبل، وثلم حد البلاغة، وهوى ركن الأدب، ومال طود المكارم، وغيض بحر الوفاء، وغيب بدر المحاسن؛

قد خططنا للمعالي مضجعًا ودفنا الدين والدنيا معا

كيف لا تبكي الفضائل من كان خليلها وسميرها، وكيف لا تندب المعالي من كان حليفها وعشيرها، وكيف لا يرثي الفضل من كان همّه في إعلاء مناره وكيف يسلو اللسان العربي من قضى حياته في إحياء آثاره؛

فقدناه والآمال ترجو بقاءه وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ويلاه ويلاه؛ لقد عضنا الدهر بنابه، وغصّنا بمصابه، وفاجأنا بهذا الخطب الفظيع، فارتاعت من هوله النفوس، وانقبضت لأجله الصدور، واضطربت له القلوب، وعمّت النوائب والكروب؛

وغاضت ينابيع المسرّة وانقضت ليال بها كم كان للأنس أوقات
وأصبحت الآداب تندب حظها تقول مضى سعدي وأهلي قد ماتوا

وا حسرتاه على من كان للعلم حرزًا، وللمعارف كنزًا، وللفصاحة ركنًا، وللسماحة حصنًا.

هيهات أن يأتي الزمان بمثله إن الزّمان بمثله لبخيل

وا أسفاه على من كان لأرض حياتنا مطرًا، ولليل جهالتنا فجرًا، وللوطن مجاهدًا،وللخير عضدًا مساعدًا، فلا عجب إذا امتلأت القلوب حزنًا، وسالت العيون مزنًا.

فكيف رياض العيش تبسم بهجة وترجو حياة بعدما هلك القَطرُ
وكيف يرجى الليل بعدك آخرا وفي ظلمات الأرض قد دفن الفجر

وا مصيبتاه، على من تبكيه الخطب والمنابر، تبكيه الكتب والمحابر، يبكيه المعلّمون والمتعلّمون، يبكيه الرواة والمؤلّفون؛

يا طالبي المعروف أين مصيركم مات الفتى المعروفُ بالمعروفِ
المشتري العليا بأعلى قيمة من غير ما بخس ولا تطفيف
ما عنّف الطلاب قط ونفسه لم يُخلها يومًا من التعنيف
يا مرشد الفتيان إذ ما أشكلت طُرُق الصواب ومنجد الملهوف
أفنيت عمرك في تُقى وعبادة وإفادة للعلم أو تصنيف
وسبحت في بحر العلوم مكافحًا أمواجه والناس دون سيوف

أي هذا الراقد تحت ظلال الرحمة والرضوان، لقد عشت بيننا سعيدًا مفيدًا، وتركت لأعمالك البيضاء ذكرًا حميدًا.

وما كنّا نعلم قبل وفاتك أن البحر يُحمل في نعش، ويدفن في قبر، وما كنّا نظن أن العلا تبكيك، والمحامد ترثيك؛

مـن للمدارس بعد موتك يا ترى مـن للمعارف والعوارف والحكم
مـن للعلوم وحلّ مشكلها ومن للفضل والمعروف بعدك والكرم

عوّضنا الله بفقدك خيرًا، ومنحنا جميل الصبر، وتغمدك برحمته الواسعة، وكافأك بعظيم الأجر، وأسأله تعالى أن ينيلك من فضله كلّ الإحسان، ويمطر عليك سحائب الرحمة والرضوان؛

نـم سعيدًا يا مـن قُضيت حميدًا بجميـلٍ قدّمـتَ بيـن يديـكا
أنـت أحسـنت فـي الحيـاة إلينـا أحسـن اللـه فـي الممـات إليـكا

(تأبين آخر)

اليوم ينعي الفضل ذووه، والأدب بنوه، ويبكون بدل الدموع دماء على هذا المصاب الجسيم، والخطب العظيم، لفقد كريم كان قدوة في مكارم الأخلاق، لدى الأصحاب والرفاق؛

والمـوت نقـاد علـى كفـه جواهـرٌ يختـار منهـا الحسـان

واليوم تندب الشهامة والعفاف، عظيمًا قد كان متحليًا بمحاسن الأوصاف، معروفًا بالخلال الحسنة، والذكاء والفطنة، والجد والاجتهاد، والهمة والنشاط، والأنس والدعة، وحُبّه للناس الخير والمنفعة، وقد كان رحمه الله طاهر الطويَّة، صافي النية، طيب السريرة، حسن السيرة، مخلصًا لإخوانه، ودودًا لأصحابه وخلانه، لا يعرف الكلل في إنجاز الأعمال، ولا يعتريه الملل في تأدية الأشغال.

كريـم المُحيَّـا باسـمٌ متهلـلٌ ... متـى جئتـه لـم تلقـه غيـر جـذلان
فقدنـا حبيبًـا وابتلينـا بوحشـة ... وحسـبي مـن هذيـن أمـران مُـرّان
ومـا النـاس إلا راحـل بعـد راحـل ... إلى العالَم الباقي من العالَم الفاني

قضى عمره رحمه الله في خدمة الوطن خدمة جليلة، خلدت له في قلوب مواطنيه ذكرة جميلة، حتى حاز رضاء الله والناس، وأحبه العام والخاص؛

أيـا نائيًـا قـد طيـب اللـه ذكـره ... فأضحى وطيب الذكر عمرٌ له ثان
وجدت الذي أسلاك عني وإنني ... وحقك ما حدّثت نفسـي بسـلوان
لقـد دفـن الأقـوام يـوم وفاتـه ... بقيـة معـروف وخيـر وإحسـان

فاليوم؛ أي كبد لا يتوجع، وأيّ عين لا تدمع، وأيّ فؤاد لا يتصدَّع، وأيّ قلب لا يتقطع، لهذا الرزء العظيم، والمصاب الفادح الجسيم؛

فمـا كل رزء يحسـن الصبـر بعـده ... ولا كل سـهم يتقيـه مقابلـهْ

ولكن ما الحيلة ولكل أجل كتاب، ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها، وتلك سنة الله في عباده جيلًا فجيلًا، ولن نجد لسنة الله تبديلا، أسأله سبحانه وتعالى أن يمطر على جسد المتوفى صيب الرحمة والغفران، ويسكنه فسيح الجنان، ويتغمده بجليل الإحسان، ويلهم قلوبنا جميل الصبر والسلوان، وشكر الله سعي الحاضرين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

(من صديق يعزّي صديقه في وفاة والده)

أعزّيكـمُ واللـه يعلـم أننـي ... سـأبكي علـى هـذا الفقيـد دهـورا

ليت شعري، أأعزيك أم أعزي نفسي على هذا المصاب الجسيم، الذي

قد أصابنا بالرزء العظيم، فشمل حزنه الجميع، إذ كان الفقيد للفضيلة عنوانًا، وللمروءة والإنسانية معوانا، والمجد لسان أوصافه، والشرف نسب أسلافه، ولكن، ما الحيلة، والموت مصير الأولين والآخرين إليه، ومشرب لابدّ لكل واحد من الورود عليه، وحيث إن الجزع لا يجدي ولا ينفع، فليس من الحكمة أن نجزع، بل نرضى ونسلم الأمر لله، وما دائم سواه، ولئن ولّى والدك الجليل، فقد أخلف من الذكر الجميل، ما سيخلد اسمه في صحائف الأيام، على ممر السنين والأعوام، وما مات من أبقى سلالة طاهرة، وأغصانًا زاهرة، تعوض المفقود، وتأتي بالغرض المقصود، وهبك الله صبرًا يهوّن عليك لوعة هذا المصاب ومنحك عزاء يخفف عنك أنواع الأشجان والأوصاب؛

تعزّ فلا شيء على الأرض باقيا ولا وزر مما قضى الله واقيا

أسأله تعالى أن يسكن الفقيد فسيح جنانه، ويفيض عليه سجال رحمته ورضوانه.

(من أخ يعزي أخاه في وفاة ولده)

حضرة الأخ المحترم؛

أسأل الله أن يطيل بقاءك، ويحرس بهاءك، ويجعل الصبر رداءك، والشكر دعاءك، وخير العافية جزاءك، وبعد.

فبأي لسان أعزيك، عن خطب أقلّ تعريفه أنه ثكل الولد، وكيف أهوّن عليك مصابا، أيسر ما فيه، أنه حسرة الأبد، وأخفف عنك رُزءا صدع القلوب وكواها، وفجر مياه العيون وأجراها؛

كيف لا يُبكى عليه وهو من بعد فطامه
كان زهرا في رياض فذوت قبل ابتسامه

بل كيف أقدم على تبصيرك بأحوال الدهر، وأنت قد أحطت بها خبرا، أو أنصحك بتلقي أزماته بالصبر، وأنت عليم قبل أن أحدث لك منه ذكرا، فأنا لا أضرب لك الأمثال، ولا أذكر لك الاقتداء بأتقياء الرجال، ولكني أرجع في الأمر إلى قوة يقينك وكمال إيمانك، وسعة حلمك، ومقدار حكمتك.

اصبر لكل مصيبة بتجلد واعلم بأن المرء غير مخلد
وإذا أتتك مصيبة تسلو بها فاذكر مصابك بالنبيّ محمد

أذهب الله عنك الحزن، وجعله لك فرطًا وذخرًا، ووسيلة لاكتساب الأجر في الأخرى، والله سبحانه وتعالى وليّ الصابرين «الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون».

(رد الخطاب السابق)

سيدي حضرة الأخ المخلص؛

حيّاك الله وأحياك، ودفع نوائب الدهر عن حماك، عزّيتني «أعزك الله وأطال بقاك» في ولدي الذي كان مصدر أنسي، وبهجة نفسي؛

ولم تر عيني كالصغار مصابهم يقلّب أكباد الكبار على الجمر

ولقد كان تلوح على وجهه النجابة، وتظهر على محياه دلائل الفطانة، فالنائبة بوفاته جسيمة، والمصيبة بفقده عظيمة.

والموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الحسان

ولكن تآنست بورود كتابك، المرصّع ببدائع الحكم، المطرز بجوامع الكلم، يتلو عليَّ من آيات بيانه، ما أذهلني عن أنياب الخطب، وهي بين

الجلد واللحم، بل بين اللحم والعظم، فكان لي نِعْم التسلية والتعزية، على فقد ولدي...

فالصبر محمود وتلك رزية في مثلها الصبر الجميل جميل
ورزية الأبناء تعظم أنها ذهبت بأكباد لها تمثيل

الباب الرابع عشر

في رسائل الهدايا

(هدية من ولد إلى أبيه في رأس السنة)

سيدي ومولاي الوالد الجليل، أهديك سلامًا مقرونًا بالاحترام، وتقديم تحيات تليق بذاك المقام، وبعد.

فلي الشرف العظيم، في هذا اليوم الفخيم، أن أقدم إليك هدية في رأس السنة الهجرية، ولكن من ذا الذي يدلّني على ما يليق تقديمه لمقامك السامي، ويفي بما عليّ لبحر جودك الطّامي؛

لو كان يهدى إلى الإنسان قيمته لكنت أهدي لك الدنيا وما فيها

على أني لو قدّمت إليك مالًا، فإنما هو من مالك، وليس لي أدنى فضل في ذلك؛

كالبحر يمطره السحاب وماله فضل عليه لأنه من مائه

فلا يسعني والحالة هذه إلا الشكر والدعاء، لمحاسن ذاتك الغراء،

حتى إني لو شكرت لك شكرا بعدد الرمال، ونجوم السماء ، وعدد نبات الأرض، ما وفيت نعمك حقها، ولا قدرتها حق قدرها، ولا أدّيت واجب شكرها، ولكن «على قدر أهل العزم تأتي العزائم»، وإني أسأله تعالى أن يديم لك المكارم، ويجعل أيامك في وجه الدهر ثغورا بواسم، ويزيد لك المواهب والخيرات ويحفظك في الروحات والغدوات، ويوجّه لك وجوه السعادة، ويرزقك الحسنى وزيادة، وختامًا أرجو التفضل بقبول تحية واحترام ولدك المخلص.

(من صديق يهدي صديقه هديّة)

صديقي الحميم؛

أطال الله بقاك، وبلّغك في الدارين مناك، وجعل الإسعاد خدينك، والتوفيق صاحبك وقرينك، وبعد.

فلما كانت نعمك متواصلة متكاثرة، وأفضالك عليَّ عظيمة، بما يخلد لك في قلبي أثرًا، ويجعل لك في لساني ذكرًا، رأيت أن أجمل صلة تحفظ بها العلائق الودّية، وتدوم بها روابط المحبة القلبية، تقديم الصديق إلى صديقه هديّة، إذ هي شعائر الأصدقاء، وعنوان تذكار الولاء وهي في نظر العقلاء جليلة، وإن كانت في نفسها قليلة؛

جاءت سليمان يوم العرض هدهدة ... أهدت له من جراد كان في فيها
وأنشدت بلسان الحال قائلة ... إن الهدايا على مقدار مهديها
لو كان يهدى إلى الإنسان قيمته ... لكان تُهْدَى لك الدنيا وما فيها

فأرجو منك أن تمهرها من كرمك بالقبول، كما هو المأمول، وقبول الهديّة من محاسن الأوصاف والشّيم، وكرم الأخلاق ومعالي الهمم، وتفضل بقبول تحية الإخلاص، وجليل الاحترام.

(ردّ الخطاب السابق)

صديقي المحبوب؛

أهديك تحية الإخلاص، وبعد.

فقد تناولت هديتك بيد البشرى، واعتبرتها من النعم الكبرى.

شكري لفضلك شكر لست أحصره شكر جزيل يفوق العدّ أنفاسا

فأكرم بها هدية؛ ما أشرفها وأسماها! وأجلّها في عيني وأعلاها! وأنفسها في نظري وأغلاها! ومرحبًا بها من طرفة ما أحسن موقعها في قلبي وأحلاها! قد وصفت صحبتنا بخالص المودّة، وبرهنت عليها بصفاء المحبّة،

وكم سبقت منكم إليَّ عوارف ثنائي على تلك العوارف وارف
وكم من لدُنكم قد أتتني لطائف فشكري على تلك اللطائف طائف

أسأله تعالى أن يطيل لك البقاء، وأن يقرن ذكرك بكل ثناء.

وختامًا أرجو التفضل بقبول أزكى السلام وجليل الاحترام.

(من فتاة تهدي والدتها هدية)

سيدتي الوالدة الكريمة، أدام الله حياتك،

أهديك تحية، مقرونة بأشواق قلبية؛

منّي السلام على من لست أنساها ولا يملّ لساني قط ذكراها

وبعد؛ فإني أقدّم المعذرة، في ما وصلت إليه المقدرة، وأهدي سيدتي الوالدة هدية... نعم؛ إنها وإن تأخّرت عن أوانها، وصغيرة في جانب فضلها، فهي لي، ولكن لي الأمل الكبير والشرف العظيم بقبولها؛

أأماه ما أخّرت عنك رسائلي ومدحي سوى أني عجزت عن الشكر
فإن لم يكن دُرّا فتلك نقيصة وإن يك دُرًا كيف يهدى إلى البحر

وهاهي ذي قادمة على حسن الأمل، تعثر في ثوب الخجل، تلتمس أن تحظى بالقبول، كما هو المرجو والمأمول، وختامًا أرجو أن تتفضلي بقبول عظيم الاحترام، وعاطر السلام، من كريمتك المخلصة..

(من ولد يهدي تأليف كتابه إلى والده)

يا ريح بلغ سلامي لوالدي. طال عمره
وأعلمه أن اشتياقي قد زاد. يزداد قدره

سيدي الوالد، المحترم الماجد،

أتشرف بتقديم تحيتي، وأسأله تعالى أن ينيلني أمنيتي، وهي رؤيتك؛ لأني في شوق إلى طلعتك، وبعد.

فهذا تأليفي وضعته في قالب كتاب جميل، لأهديه إلى جانبك الجليل؛

شكرًا وحمدًا إن قبلت هديتي وجعلت لي فضلًا على أقراني

فأرجو منك أن تمهره بالقبول، كما هو المرجو والمأمول، إذ قبول الهدية من محاسن الأوصاف والشيم، ومكارم الأخلاق ومعالي الهمم، وتفضل يا وليّ نعمتي بقبول عظيم تحيتي، وعاطر سلامي وجليل احترامي لمقامك السامي، من ولدك المطيع.

(إهداء هذا الكتاب إلى حضرات القرّاء)

سادتي الأفاضل،

لما كان أفضل هديّة تقدم على سبيل التذكار، إلى حضرات رجال الفضل والاعتبار، ما تكون نزهة للبصائر والأبصار، قد رأيت أن أهدي مواطني كتابًا يخلد لي الذكرى عندهم، ويكون أثرًا خالدًا لي من بعدهم، فألفت هذا الكتاب، ووضعته حيث يعرفه أهلوه، ويستقبله من باذله عالموه؛ فإنما يعرف الفضل من الناس ذووه، فجاء بعنايته تعالى كتابًا حوى من المباني أدقها، ومن المعاني أرقها، ومن الفصاحة ذراها، ومن البلاغة أقصاها؛

كتاب له الأحداق تشتاق نظرة فياحبذا ما ضمّه وحواه

فعساه يحظى لدى سادتي القراء بالقبول، كما هو المرجو والمأمول ولحضراتهم عظيم الشكر، وجميل الثناء والذكر؛

يا سادتي إن شكري لست أحصره شكر جزيل يفوق العدّ أنفاسا

والحق أحق أن يقال، إن هذا الكتاب بلغ غاية الكمال، بتوفيق رب العزة والجلال، وببركة المصطفى والصَّحْب والآل، صلى الله عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، والحمدلله رب العالمين.



أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي

(1295 - 1362 هـ / 1878 - 1943 م)

هو أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، أديب معلم، مصري من أهل القاهرة، ووفاته بها. تلقى تعليمه في الأزهر الشريف على كبار شيوخ الأزهر في عصره من أمثال الشيخ محمد عبده والشيخ سليم البشري والشيخ حسونة النواوي والشيخ حمزة فتح الله؛ المفتش الأول بوزارة المعارف العمومية.

كتبه ومؤلّفاته:

- (أسلوب الحكيم)؛ مجموع مقالات

- (جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع)؛ وقد حاز هذا الكتاب إعجاب أدباء عصره وأساتذته الذين درس عليهم؛ فأثنى على هذا الكتاب سعد زغلول باشا ومحمد عبده الذي قرظ الكتاب؛ فقال: «فوجدته كتاباً عظيماً وأسلوباً حكيماً يشهد لحضرة مؤلّفه الفاضل بملاك الذوق السليم والعقل الحكيم..».

- (ميزان الذهب في صناعة شعر العرب)؛ صدر هذا الكتاب عن مؤسَّسة الكتب الثّقافيّة ببيروت، وتناول فيه الهاشمي علمي العروض والقافية، وهو أحد الكتب التعليمية التي جاءت مادته سهلة مبسطة لطلبة العلم في هذا المجال.

- جواهر الإعراب.

- (جواهر الأدب في أدبيات لغة العرب)؛ وهو كتاب صدر عن مكتبة المعارف ببيروت ثم طبع بعد ذلك وانتشر، وهو كتاب ضخم غزير الفائدة والتركيز في الأدب العربي جاء فيما يقارب ألف صفحة.

- القواعد الأساسية للغة العربيّة: وقد صدر هذا الكتاب عن المكتبة العصرية سنة 1998 بتحقيق محمد قاسم، وقد تناول فيه الهاشمي علوم النحو والصرف مع تطبيقات وشواهد شعرية متعددة، ويميزه أقسام الإعراب النموذجي في ذيل كل باب من الأبواب.

- (ميزان الذهب).

- (مختار الأحاديث النبوية).

عمله في المدارس الأهلية

بالرغم من أن أحمد الهاشمي تلقى تعليمه في الأزهر، وكانت صلته عميقة وأكيدة بين أساتذته ومدرسيه، إلا أنه اختار سلك التعليم المدني؛ فدرس العربيّة في العديد من مدارس القاهرة، وأصبح مديراً بعد ذلك للعديد من المدارس كمدرسة الجمعية الإسلامية ومدرسة فؤاد الأول، كما عيّن مراقباً لمدارس فيكتوريا الإنجيلية؛ [قال الزركلي : كان مديرا لثلاث مدارس أهلية؛ واحدة للذكور واثنتان للإناث].

(عن تراجم الأعلام للزركلي)

الفهرس

الباب الأول - في رسائل النصح	7
الباب الثاني - في رسائل الشكر	33
الباب الثالث ـ في رسائل الوصف والإخبار	47
الباب الرابع ـ في رسائل الوداد والتّعارف قبل اللّقاء	65
الباب الخامس ـ في رسائل الشوق	75
الباب السادس ـ في العتاب واللوم والتوبيخ	89
الباب السابع ـ في رسائل الشكوى	111
الباب الثامن ـ في رسائل الاستعطاف والاعتذار	119
الباب التاسع ـ في رسائل الرجاء والطلب	129
الباب العاشر ـ في رسائل التنصُّل والتّبرؤ	136
الباب الحادي عشر ـ في رسائل العيادة	141
الباب الثاني عشر ـ في رسائل التهاني	145
الباب الثالث عشر ـ في رسائل التعازي	199
الباب الرابع عشر ـ في رسائل الهدايا	215

إصدارات سلسلة كتاب الدوحة

1	طبائع الاستبداد	عبد الرحمن الكواكبي
2	برقوق نيسان	غسان كنفاني
3	الأئمة الأربعة	سليمان فياض
4	الفصول الأربعة	عمر فاخوري
5	الإسلام وأصول الحكم - بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام	علي عبدالرازق
6	شروط النهضة	مالك بن نبيّ
7	صلاح جاهين - أمير شعراء العامية	محمد بغدادي
8	نداء الحياة - مختارات شعرية - الخيال الشعري عند العرب	أبو القاسم الشابي
9	حرّية الفكر وأبطالها في التاريخ	سلامة موسى
10	الغربال	ميخائيل نعيمة
11	الإسلام بين العلم والمدنيّة	الشيخ محمد عبده
12	أصوات الشاعر المترجم - مختارات من قصائده وترجماته	بدر شاكر السياب
13	امرأتنا في الشريعة والمجتمع	الطاهر حداد
14	الشيخان	طه حسين
15	ورد أكثر - مختارات شعرية ونثرية	محمود درويش
16	يوميات نائب في الأرياف	توفيق الحكيم
17	عبقرية عمر	عباس محمود العقاد
18	عبقرية الصدّيق	عباس محمود العقاد
19	رحلتان إلى اليابان	علي أحمد الجرجاوي/صبري حافظ
20	لطائف السمر في سكان الزُّهرة والقمر أو (الغاية في البداءة والنهاية)	ميخائيل الصقال
21	ثورة الأدب	د. محمد حسين هيكل
22	في مديح الحدود	ريجيس دوبريه
23	الكتابات السياسيّة	الإمام محمد عبده
24	نحو فكر مغاير	عبد الكبير الخطيبي
25	تاريخ علم الأدب	روحي الخالدي
26	عبقرية خالد	عباس محمود العقاد
27	أصوات الضمير	خمسون قصيدة من الشعر العالمي
28	مرايا يحيى حقي	يحيى حقي
29	عبقرية محمد	عباس محمود العقاد
30	عبدالله العروي من التاريخ إلى الحب	حوار أجراه محمد الداهي
31	فتاوى كبار الكتّاب والأدباء في مستقبل اللّغة العربيّة	مجموعة مؤلفين
32	عام جديد بلون الكرز (مختارات من أشعار ونصوص مالك حداد)	ترجمة: شرف الدين شكري
33	سِراج الرُّعاة (حوارات مع كُتاب عالميّين)	خالد النجار
34	مَقالة في العبودية المختارة (إيتيان دي لابويسيه)	ترجمة: مصطفى صفوان
35	عن سيرتي ابن بطوطة وابن خلدون	د.بنسالم حِمّيش
36	حي بن يقظان - تحقيق: أحمد أمين	ابن طفيل
37	الإصبع الصغيرة - ترجمة: د.عبدالرحمن بوعلي	ميشال سار
38	محمد إقبال - مختارات شعرية	محمد إقبال
39	تزفيتان تودوروف (تأمُّلات في الحضارة، والديموقراطية، والغيرية)	ترجمة: محمد الجرطي
40	نماذج بشرية	أحمد رضا حوحو
41	الشرق الفنّان	د.زكي نجيب محمود
42	تشيخوف - رسائل إلى العائلة	ترجمة: ياسر شعبان
43	إلياس أبو شبكة «العصفور الصغير»	مختارات شعرية

44	لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟	الأمير شكيب أرسلان
45	مختارات من الأدب السوداني	علي المك
46	رحلة إلى أوروبا	جُرجي زيدان
47	المُعتمدُ بنُ عبّاد في سنواته الأخيرة بالأسر	د.عبدالدين حمروش
48	تاريخ الفنون وأشهر الصور	سلامة موسى
49	من أجل المسلمين	إيدوي بلينيل - ترجمة: عبداللطيف القرشي
50	زينة المعنى (الكتابة، الخط، الزخرفة)	يوسف ذَنُون
51	الواسطة في معرفة أحوال مالطة	أحمد فارس الشدياق
52	النخبة الفكرية والانشقاق	د. مُحسن الموسوي
53	ياسمينة وقصص أخرى	إيزابيل إيبرهاردت
54	آباي (كتاب الأقوال)	ترجمة وتقديم: بوداود عمير
55	مأساة واق الواق	ترجمة: عبدالسلام الغرياني
56	بين الجزْر والمدّ (صفحات في اللّغة والآداب والفنّ والحضارة)	محمد محمود الزبيري
57	ظلّ الذّاكرة (حوارات ونصوص من أرشيف «الدوحة»)	مي زيادة
58	الرحلة الفنّية إلى الديار المصريّة (1932) تحقيق: رشيد العفاقي	قسم التحرير «مجلّة الدوحة»
59	قيصر وكليوبترا	أليكسي شوتان -تعريب: عبد الكريم أبو علو
60	الصين وفنون الإسلام	إسماعيل مظهر
61	براعمُ الأمل (مُختارات شِعْريّة للكاتب الصيني وانغ جو جن)	ترجمة: مي عاشور
62	التّوت المُرّ	محمد العروسي المطوي
63	درب الغريب	غونار إيكليوف
64	من والد إلى ولده	أحمد حافظ بك
65	التلـــميذ	بول بُورجيه
66	ملحَمة جلجامش	تقديم وترجمة: طه باقر
67	أريجُ الزّهر	الشيخ مصطفى الغلاييني
68	اعترافات إنسان	محمّد فريد سيالة
69	مريود	الطيب صالح
70	المقالات الصحفية	عبدالله كنون
71	قصص قصيرة	نجيب محفوظ
72	بول بولز - يوميات طنجة	إبراهيم الخطيب
73	فنّ الحَياة	سلامة موسى
74	أَقْوَمُ الْمَسَالِكِ فِي مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ الْمَمَالِكِ	خير الدين التونسي
75	كتاب الأخلاق	أحمد أمين
76	رِحْلَةٌ جَبَلِيَّةٌ رِحْلَةٌ صَعْبَة	فدوى طوقان
77	قِطافٌ (مُختَارَات مِن الْقِصَّةِ الْقَصِيرَةِ فِي قَطَر)	مجموعة من الكتاب
78	الرحلة الجوية في المركبة الهوائية (من شرقي إفريقية إلى غربيها) ج: 1	جول غابرييل فيرن، ترجمة: يوسف اليان سركيس
79	الرحلة الجوية في المركبة الهوائية. ج: 2	جول غابرييل فيرن، ترجمة: يوسف اليان سركيس
80	مذكرات دجاجة	إسحق موسى الحسيني
81	ماذا يقول غاندي عن اللاعنف والمقاومة والشجاعة؟	نورمان ج. فينكلستاين- ترجمة: أحمد زراقي
82	نشأة اللوحة المسندية في الوطن العربي	د. نزار شقرون
83	مِن سِيَرِ الأَبْطال والعُظَماءِ القُدَماء	إس. إس. بيو - ترجمة: يعقوب صروف - فارس نمر
84	مقالاتٌ في الأدب العربيّ	إغناطيوس كراتشكوفسكي
85	سِرُّ النَّجَاح	صموئيل سمايلز - ترجمة: يَعقُوب صَرُّوف
86	مِنْ آثارِ مُعَاوِيَة مُحَمَّد نُور	مُعَاوِيَة مُحَمَّد نُور

من إصدارات سلسلة كتاب الدوحة





أحمد الهاشمي
(1878-1943)

هذا الكتاب «إنشاء المُكاتبات العصرية» وضعته لتلاميذ وطلبة المعاهد العلميَّة، ليفتح لهم أبواب المراسلات، ويرشدهم إلى الطريق الأقوم في المخاطبات، مراعيًا في لغته متعارف الأوساط من القُرَّاء، ولم أتوخّ في تحريره فصاحة البلغاء...

دولة قطر
وزارة الثقافة والرياضة

www.aldohamagazine.com